

شرح منظومة

سَيْرِ الْحُورِ إِلَى الْقُصُورِ

في السيرة النبوية على صاحبها أكمل الصلاة والسلام

للعامة القاضي ابن الشحنة الحلبي الحنفي

شرح

محمد بن سعيد ابن طوق المري

نص المنظومة

- بِاسْمِ الْإِلَهِ سِيرَةَ الرَّسُولِ ١ بَدَأْتُ، وَالْمَوْلِدُ عَامَ الْفِيلِ
 خُمْسِي رَبِيعَ أَوَّلِ صُبْحِ اثْنَيْنِ فِي ٢ نَيْسَانَ، فِي مَكَّةَ، مُكْفَى الْكُلْفِ
 أَبَوُهُ عَبْدُ اللَّهِ مَاتَ قَبْلُ ٣ وَتَسْعَةَ الْأَشْهُرِ كَانَ الْحَمْلُ
 أَرْضِعَ حَوْلَيْنِ، وَشُقَّ صَدْرُهُ ٤ بَعْدَ اَرْبَعٍ، فَرَجَعَتْهُ ظِئْرُهُ
 وَمَاتَتْ أُمُّهُ بِالْأَبْوَا آمِنَهُ ٥ وَالْجَدُّ مُوصٍ عَمَّهُ فِي الثَّامِنَةِ
 سَافَرْتُ طَالِبَ لِاثْنَيْ عَشَرَ ٦ بِهِ، بِحَيْرَا رَدَّهُ مِنْ بُصْرَى
 وَعَامَ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ رَحَلَ ٧ لِلشَّامِ تَاجِرًا، وَمِنْ بُصْرَى قَفَلَ
 خَدِيجَةً زَوْجًا، كُلُّ الْوُلْدِ لَهُ ٨ مِنْهَا، سِوَى إِبْرَاهِيمَ جَا مِنْ مَارِيَه
 قَاسِمٌ، زَيْنَبُ، رُقَيٌّ، فَاطِمَةُ ٩ كُنُتُومٌ، عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا الْخَاتِمَةُ
 وَقَبْلَهُ مَاتُوا بِلا عَقَبٍ سِوَى ١٠ فَاطِمَةَ عَنْ نِصْفِ عَامٍ لِلتَّوَى
 وَعَامَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ حَكَمَ ١١ فِي وَضْعِهِ لِلْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ثَمَ
 وَيَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِينَ ١٢ أُرْسِلَ لِلْأَنَامِ أَجْمَعِينَ
 فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٣ وَ"اقْرَأْ" "قُمْ" "الْحَمْدُ" أَوَّلَ الْمُنَزَّلِ
 وَعَلَّمَ الْوُضُوءَ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ١٤ لِلْقُدْسِ، وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ نُصِبُ عَيْنِ
 بَعْدَ اَرْبَعٍ بِالْدِّينِ جَهْرَةً أَمَرَ ١٥ وَشُقَّ نِصْفَيْنِ لِأَجْلِهِ الْقَمَرُ
 وَارْبَعُ صُحْبَةٍ اِثْنَتَيْ عَشَرَ ذَكَرَ ١٦ إِلَى النَّجَاشِيِّ هَاجَرُوا خَوْفَ الضَّرَرِ

- ١٧ فِي الْخَمْسِ عَادُوا، ثُمَّ عَادُوا وَهُمْ مَعَ الثَّمَانِينَ ثَلَاثَ، مَعَهُمْ
 ١٨ ثَمَانِ عَشْرَ اِثْنَى، وَمِنْ قَبْلُ اسْتَقَرَّ اِسْلَامُ حَمْرَةَ، وَفِي السَّتِّ عُمَرُ
 ١٩ وَالسَّابِعِ اِسْلَامُ النَّجَاشِيِّ الْعَشْرَا مَوْتُ أَبِي طَالِبَ، ثُمَّ الْكُبْرَى
 ٢٠ وَقَبْلُ كَانَتْ قِصَّةُ الصَّحِيفَةِ وَالشَّعْبِ فِي سِنِيهِ الْمُخِيفَةِ
 ٢١ ثُمَّ أَتَتْ جِنُّ نَصِيبِينَ اِسْلَمَتْ نَعَمْ، وَالْأَشْجَارُ مَشَتْ وَسَلَّمَتْ
 ٢٢ فِي رَمَضَانَ أَحَدَى وَخَمْسِينَ نَكَحَ سَوْدَةَ، ثُمَّ الْعَقْدُ فِي شَوَّالٍ صَحَّ
 ٢٣ عَلَى ابْنَةِ الصَّدِيقِ، ثُمَّ الْإِسْرَا وَالْبَيْعَةُ الْأُولَى مَعَ اِثْنَى عَشْرَا
 ٢٤ وَبَعْدَ عَامٍ بَيْعَةُ السَّبْعِينَ وَصَفَرَ الثَّلَاثِ وَالْخَمْسِينَ
 ٢٥ هَاجَرَ نَحْوَ طَيْبَةِ مُقِيمَا عَشْرَ سِنِينَ لِلْهُدَى مُقِيمَا
 ٢٦ جَمَعَ فِي **الأولى**، وَآخَى، أَذْنَا وَمَسْجِدِي قُبَا وَطَيْبَةِ بَنَى
 ٢٧ وَأُنْزِلَ اِتِّمَامُ الصَّلَاةِ أَرْبَعَا وَبَعْضُ مَنْ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ رَجَعَا
 ٢٨ فِيهَا بَنَى بَعَائِشَ، **وَالثَّانِيَةَ** غَزَا بِالْأَبْوَا، وَبُوطًا تَالِيَهُ
 ٢٩ وَبَذَرَ الْأُولَى، ذُو عَشِيرٍ، وَوَجَبَ تَحَوُّلُ الْقِبْلَةِ فِي نِصْفِ رَجَبٍ
 ٣٠ وَالصَّوْمُ فِي شَعْبَانَ، كُبْرَى بَذَرَ فِي رَمَضَانَ، وَزَكَاةُ الْفِطْرِ
 ٣١ مَوْتُ رُقَيْيَةَ، وَعُرْسُ الطُّهْرِ وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الْأَسْرِ
 ٣٢ قَرَقَرٌ، قَيْنَقَاعٌ، وَالْعِيْدَانِ سَوِيْقُ، وَالِدُّعْثُورُ فِي غُطْفَانِ
 ٣٣ عَقْدُ امَّ كُلْثُومَ عَلَى عُثْمَانَ فِي **ثَالِثَةٍ** بَعْدَ رُقَيْيَةَ، اِرْدِفِ

- ٣٤ حَفْصَةَ، ثُمَّ الزَّيْنَبَيْنِ، أَحَدًا حَمْرَاءُ، حَمَزَةٌ فِي الْأَوَّلَى اسْتَشْهَدَا
- ٣٥ وَحُرْمَةُ الْخَمْرِ، وَمَوْلِدُ الْحَسَنِ وَزَيْنَبًا بِنْتَ خُزَيْمَةَ دَفَنُ
- ٣٦ فِي **أَرْبَعٍ** نِكَاحُ أُمِّ سَلَمَةَ بَنُو النَّضِيرِ، بَدْرُ، احْزَابُ الْعَمَةِ
- ٣٧ قُرَيْظُ، قَصْرُ، مَوْلِدُ الْحُسَيْنِ تَيْمُّمُ، رَجُمُ الْيَهُودِيِّينَ
- ٣٨ حِجَابُ، حَجٌّ، دُومَةُ، **وَالتَّالِيَةِ** مُصْطَلِقُ، أَفْكُ، اصْطِفَا جُؤَيْرِيَةَ
- ٣٩ غَابَةُ فِي **السَّيِّئِ**، بَنُو لَحْيَانَ وَالصَّادُّ، ثُمَّ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ
- ٤٠ ظَهَارُ، الْإِسْتِسْقَا، الْخُسُوفُ عُرِفَا فِي **السَّبْعِ** خَيْبَرُ، وَسُمِّمَ، وَاصْطَفَى
- ٤١ صَفِيَّةً، وَأُمَّ حَبِيبَةَ نَقَدَ عَنْهَا النَّجَاشِي مَهْرَهَا مَعَهَا، وَرَدَ
- ٤٢ مَنْ قَدْ بَقِيَ، فِي عُمَرَةَ الْقَضَا نَكَحَ مَيْمُونَةَ وَذَاكَ فِي الْإِحْرَامِ صَحَّ
- ٤٣ أَهْدَى لَهُ مَارِيَةَ الْمُقْوَقْسُ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، فَلَمْ يَبْتَسُّوْا
- ٤٤ وَفِي **الثَّمَانِ**: مُؤْتَةٌ، وَالْمِنْبَرُ فَتَحَ، حُنَيْنُ، طَائِفُ، وَهَجَرُ
- ٤٥ تَبُوكُ فِي **التَّسْعِ**، وَمَوْتُ أَصْحَمَةَ وَابْنِ أَبِي، إِيلَا، لِعَانُ أَعْلِمَهُ
- ٤٦ مَاتَ ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ فِي **الْعَاشِرِ** عَنْ سَبْعَةِ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ شَهْرًا ارْفَعَنُ
- ٤٧ وَفِيهِ: كَانَتْ حَاجَةُ الْوَدَاعِ تَسْعِينَ أَلْفَ رَاكِبٍ وَسَاعٍ
- ٤٨ قَضَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ سِتِّينَا مَعَ الثَّلَاثِ طَيِّبًا مُبِينَا
- ٤٩ فَلَمْ يَكُ الْمَانِعُ مِنْ كِتَابِهِ إِلَّا اخْتِلَافُ كَانَ فِي أَصْحَابِهِ
- ٥٠ غَزَوَاتُهُ: السَّبْعَةُ وَالْعِشْرُونَ بُعُوْثُهُ جَمِيعُهَا سِتُّونَا

- أَفْرَاسُهُ: سَبْعٌ، وَسَبْعَ عَشْرًا ٥١ زَادُوا، الْبِغَالُ: خَمْسٌ، زَادُوا أُخْرَى
- زَوْجَاتُهُ اللَّائِي بِهِنَّ دَخَلَا: ٥٢ إِحْدَى أَوْ اثْنَا عَشَرَ، عَنْ تِسْعٍ خَلَا
- كُتَّابُهُ: خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ ٥٣ خِدَائِمُهُ: الْمِئَةُ وَالسَّبْعُونَ
- أَعْمَامُهُ الَّذِينَ هُمْ لَمْ يُسَلِّمُوا: ٥٤ بُو طَالِبٍ، بُو لَهَبٍ، وَقُثْمٌ
- حَارِثٌ، غَيْدَاقٌ، ضِرَارٌ، مُقُومٌ ٥٥ زُبَيْرٌ، عَبْدُ كَعْبَةَ، حَجَلٌ هُمْ
- عَمَّائُهُ: سِتٌّ، ثَلَاثٌ أَسْلَمَتْ ٥٦ صَفِيَّةٌ، عَاتِكٌ، أَرْوَى، وَأَبَّتْ
- أُمَيْمَةٌ، أُمُّ حَكِيمٍ، بَرَّةٌ ٥٧ أَصْحَابُهُ الْمُبَشَّرُونَ: عَشْرَةٌ
- سَعْدٌ، سَعِيدٌ، ابْنُ عَوْفٍ، خُلَفَا ٥٨ زُبَيْرٌ، طَلْحَةُ، ابْنُ جَرَّاحٍ، الْوَفَا
- وَبَعْدَهُ الصَّدِيقُ عَامِينَ اسْتَقَرَّ ٥٩ وَنِصْفٌ، بِالسَّيِّمِ قُضِيَ، ثُمَّ عُمَرُ
- عَشْرًا وَنِصْفًا، وَقُضِيَ لَمَّا انْجَرَحَ ٦٠ وَمِصْرَ وَالْعِرَاقَ وَالشَّامَ افْتَتَحَ
- وَبَعْدَهُ عُثْمَانُ إِحْدَى عَشْرًا ٦١ وَمِثْلَهَا يَوْمًا، شَهِيدًا مَرًّا
- ثُمَّ عَلِيٌّ خَمْسًا السُّدُسَ انْقُصَنَ ٦٢ وَبَعْدَهُ سِتُّ شُهُورٍ الْحَسَنُ
- صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّهُ وَسَلَّمَا ٦٣ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَكَرَّمَا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^١.
أما بعد فإن علم التاريخ علمٌ شريف القدر، غزير المنفعة، ومن أحسن ما وصف به قول بعضهم:
"إنَّه علمٌ يستمتع به العالمُ والجاهل، وَيُسْتَعَذَّبُ موقعه الأحمقُ والعاقل، فكلُّ غريبة منه تُعرَف،
وكلُّ أعجوبة منه تُستَظَرَف ... يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر،
والموجود والغابر".

وقد قال لسان الدين ابن الخطيب في صدر أرجوزته رَقْمُ الحُلَلِ في نَظْمِ الدُّوَل:

وبعدُ فالتاريخُ والأخبارُ	فيه لِنَفْسِ العاقلِ اعتبارُ
وفيه للمُسْتَبْصِرِ اسْتِبْصَارُ	كيفَ أتى القَوْمُ وكيفَ صارُوا
يُجْرِي على الحاضرِ حُكْمَ الغائبِ	فِيُثَبِّتُ الحَقَّ بَسْمِ صَائِبِ
وَيَنْظُرُ الدُّنْيَا بِعَيْنِ النُّبْلِ	وَيَتْرُكُ الجَهْلَ لِأَهْلِ الجَهْلِ

وقال آخر:

ومن حوى التاريخَ في صَدْرِهِ أضافَ أعمارًا إلى عُمُرِهِ

وإذا كان هذا شأنُ التاريخِ على جهة العموم فكيف بتاريخ أعظم وأفخم من أرَّخَ له رسولُ الله ﷺ الذي فرَضَ الله تعالى علينا الاتِّسَاءَ به فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

^١ أصل هذه الأوراق شرح صوتي على منظومة سير الحور إلى القصور كان في شهر ربيع الآخر لعام ١٤٤٤هـ، وقد اطلع الشارح على هذه الأوراق قبل نشرها فراجعها وأعاد صياغة مواضع منها بما يناسب الكتاب المقروء.

[رابط الشرح الصوتي](#)

[رابط آخر للشرح الصوتي](#)

[رابط الشرح على اليوتيوب](#)

ولا يتم واجب الائتساء به إلا بمعرفة أحواله وأخباره، وفَرَضَ علينا محبته "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" ولا يمكن أن تُحِبَّ من لا تَعْرِف فإذا عرفت أخباره وأحواله وأيامه وسيرته أحبَّته لا محالة.

ثم إن علم السيرة يسهل لك العلوم الأخرى من فقهٍ وحديثٍ وتفسيرٍ كما قال الحلبي في سيرته:

وبعدُ فالسَّيَرُ ذو تيسيرٍ للفقهِ والحديثِ والتفسيرِ

اقرأ مثلاً غزوة بدر من كتاب من كتب السيرة ثم اقرأ سورة الأنفال وانظر كيف تفهمها، ستجد أثر معرفتك بالسيرة في فهمك للسورة، اقرأ غزوة أحد من كتاب من كتب السيرة ثم اقرأ سورة آل عمران، اقرأ غزوة الخندق من كتاب من كتب السيرة ثم اقرأ سورة الأحزاب، اقرأ غزوة تبوك من كتاب من كتب السيرة ثم اقرأ سورة التوبة، اقرأ غزوة بن النضير من كتاب من كتب السيرة ثم اقرأ سورة الحشر، فعلم السيرة يزيدك فهماً للقرآن.

وقد قال الزهري: "في علم المغازي علمُ الآخرة والأولى".

وقال علي بن الحسين: "كنا نُعَلِّمُ مغازيَ رسول الله ﷺ كما نُعَلِّمُ السورة من القرآن".

والجادة عند العلماء التسامح في أخبار السيرة وعدم التشديد فيها كما قال العراقي في ألفية الحديث:

وسَهِّلُوا في غيرِ مَوْضُوعٍ رَوَوْا من غيرِ تَبَيِّنٍ لِضَعْفٍ ورَأَوْا

بَيَانُهُ في الحُكْمِ والعقائدِ عن ابنِ مَهْدِيٍّ وغيرِ واحدٍ

(وغير واحد) كأحمدَ وابنِ معينِ وابنِ المباركِ والسفيانين وغيرهم من الأئمة الأكابر، كلُّهم يقرّرون أن ما كان من غير الأحكام والعقائد لا يُشَدَّدُ فيه.

وقد قال ابن مهدي -رحمه الله-: "إذا روينا في الحلال والحرام شددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال، وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب سهلنا في الأسانيد وتسامحنا في الرجال".

وقد قال الإمام أحمد: "ابن إسحاق رجل تكتب عنه هذه الأحاديث -يعني المغازي ونحوها- وإذا جاء الحلال والحرام أردنا قومًا هكذا وقبض أصابع يديه الأربع".

فأحاديث السيرة وأخبارها لا تُعامل معاملة أحاديث الحلال والحرام، لكن ليس معنى هذا ألا تُمَحَّصَ هذه المرويات، فإذا ورد في خبر من أخبار السيرة حديث ضعيف وورد ما يخالفه في حديث صحيح فالشأن كما قال ابن مبارك: "في صحيح الحديث ما يُغني عن سقيمه".

وقد قال العراقي في ألفية السيرة:

وَلْيَعْلَمِ الطَّالِبُ أَنَّ السَّيْرَ تَجْمَعُ مَا صَحَّ وَمَا قَدْ أَنْكَرَا
وَالْقَصْدُ ذِكْرُ مَا أَتَى أَهْلَ السَّيْرِ بِهِ وَإِنْ إِسْنَادُهُ لَمْ يُعْتَبَرْ
فَإِنْ يَكُنْ قَدْ صَحَّ غَيْرُ مَا ذُكِرَ ذَكَرْتُ مَا قَدْ صَحَّ فِيهِ وَاسْتَطِرَّ

وهذه مدارس لمنظومة **سير الحور إلى القصور** للعلامة القاضي أبي الوليد محب الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمود الحلبّي الحنفّي المعروف بابن الشّحنة المتوفى سنة خمس عشرة وثمان مئة من هجرة النبي ﷺ. وهي أرجوزة وجيزة مختصرة تقع في ثلاثة وستين بيتًا على عُمرِ النبي ﷺ وقد رتبها على حوادث السنين النبوية.

قال -رحمه الله-:

بِاسْمِ الْإِلَهِ سِيرَةَ الرَّسُولِ ١ بَدَأْتُ، وَالْمَوْلِدُ عَامَ الْفِيلِ
خُمْسِي رَبِيعِ أَوَّلِ صُبْحِ اثْنَيْنِ فِي ٢ نَيْسَانَ، فِي مَكَّةَ، مُكْفَى الْكُلْفِ
أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ مَاتَ قَبْلُ ٣ وَتَسْعَةَ الْأَشْهُرِ كَانَ الْحَمْلُ
أَرْضِعَ حَوْلَيْنِ، وَشُقَّ صَدْرُهُ ٤ بَعْدَ أَرْبَعٍ، فَرَجَّعَتْهُ ظُئْرُهُ
وَمَاتَتْ أُمُّهُ بِالْأَبْنَاءِ آمَنَهُ ٥ وَالْجَدُّ مُوصٍ عَمَّهُ فِي الثَّامِنَةِ

سَافَرُ بُو طَالِبَ لِاثْنَيْ عَشَرَ ٦ بِهِ، بَحِيرًا رَدَّهُ مِنْ بُضْرَى

قال - رحمه الله -: (بِسْمِ الْإِلَهِ سِيرَةُ الرَّسُولِ بَدَأْتُ):

قوله: (بَدَأْتُ) هو متعلق الجار والمجرور: (باسم الإله) أي بدأت باسم الإله.

(سِيرَةُ الرَّسُولِ) السيرة: الطريقة، وسيرة الرسول ﷺ: هي أخباره منذ ولادته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى.

قال ابن المناصف القرطبي:

عَلِمَ بِأَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ لَدُنِ النَّشْءِ إِلَى التَّنَاهِي

قال: (وَالْمَوْلِدُ عَامَ الْفِيلِ) قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْفِيلِ".

وقال قيس بن مخزومة - رضي الله عنه -: "وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفِيلِ فَنَحْنُ لِذَتَانِ" أي وُلِدْنَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

والمشهور أن ولادته كانت بعد حادثة الفيل بخمسين يومًا.

(خُمْسِي رَبِيعٍ أَوَّلٍ) خُمُسُ الشَّهْرِ: ستة أيام، وخُمُسه: اثنا عشر يومًا، فكانت ولادته في الثاني عشر من ربيع الأول.

أخرج ابن أبي شيبة والجورقاني في الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنهما قالَا: "وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفِيلِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَفِيهِ بَعَثَ، وَفِيهِ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ، وَفِيهِ هَاجَرَ، وَفِيهِ مَاتَ".

(صُبْحَ اِثْنَيْنِ) وُلِدَ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ ﷺ سَأَلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ فَقَالَ: "ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ..." الحديث.

وكونه ولد صباح الاثنين هذا قول، وقيل: بل ولد وسط النهار، وقيل: بل كانت ولادته في الليل، هذه ثلاثة أقوال وليس على واحد منها دليل يُقَطَّع معه بترجيحه على غيره، لكن المجزوم به أنه ولد يوم الاثنين.

(في نَيْسَانَ) وهو الشهر الرابع من شهور السنة الشمسية الذي يقال له: إبريل.

ذكره السهيلي عن أهل الحساب، ولمحمود باشا الفلكي بحث في إثبات صحة هذا القول.

(في مكة) كانت ولادته ﷺ في مكة.

(مُكْنَى الكَلْفِ) يشير بهذا إلى أنه ﷺ ولد مختوناً مسروراً أي مقطوع الحبل السري لكن في الاستيعاب عن ابن عباس - رضي الله عنهما - "أن عبدالمطلب ختن النبي ﷺ يوم سابعه وجعل له مأدبة".

وقد قرّر ابن القيم في الزاد أنه ﷺ ختن على عادة العرب، وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة مُغْنِيًا عن نقل مُعَيَّنٍ فيها، وليس فيه حديث ثابت، وليس هو من خصائصه ﷺ فإن كثيراً من الناس يولد مختوناً.

(أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ مَاتَ قَبْلُ) أي قبل مولده ﷺ، وهذا أبلغ درجات اليُتْم أن يخرج إلى الدنيا ولا أب له، وقد ذكر الله تعالى يُتِمُّ نَبِيَّنَا ﷺ في القرآن في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾.

وما ذكره من موت عبدالله قبل مولد النبي ﷺ جزم به ابن اسحاق بل لم يذكر غيره، ورجحه ابن القيم وابن كثير.

وقيل: بل مات عبدالله ونبينا ﷺ في المهد، وأنشدوا رَجَزًا لعبدالمطلب يقول فيه لابنه أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف:

أَوْصِيكَ يَا عَبْدَ مَنْفٍ بَعْدِي

بِمُؤْتَمٍ بَعْدَ أَبِيهِ فَرْدٍ

فَارَقَهُ وَهُوَ ضَجِيعُ الْمَهْدِ

لكن المعتمد ما ذكره الناظم من أن عبد الله مات قبل مولد نبينا ﷺ.

(وتسعة الأشهر كان الحمل) على المعهود في الحمل ولم تجد أمه آمنه في حمله ثقلاً ولا مشقة. (أرضع حولين) أرضعته حليلة السعدية.

وخبر إرضاع حليلة للنبي ﷺ وإقامته عندها ببادية بني سعد تفرد ابن اسحاق بروايته، وإسناده ضعيف، لكن لا شك في استرضاعه ﷺ ببادية بني سعد، فقد ثبت أنه ﷺ قال: "أنا دعوة أبي إبراهيم واسترضعت في بني سعد بن بكر".

وبنو سعد هم قوم حليلة السعدية وثبت قول وفد هوازن للنبي ﷺ بعد حنين: "إنما في الحظائر -أي: في الأسر- عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنَّ يكفلنك" فاسترضاعه ﷺ ببادية بني سعد ثابت.

وحاصل خبر إرضاع حليلة له ﷺ أنها قدمت إلى مكة في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسن الرضعاء فما منهن امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها: إنه يتيم؛ وذلك أنهم إنما كنَّ يرجون المعروف من أبي الصبي فكُنَّ يقلن: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجدّه! فكُنَّ يتركنه لذلك، فما بقيت امرأة إلا أخذت رضيعاً غير حليلة، فلما أجمعوا على الانطلاق قالت حليلة لزوجها -واسمه الحارث بن عبد العزى-: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحيبي وليس معي رضيع، لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم فلا خذنه. فقال: لا بأس عليك أن تفعلي فعسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، فما هو إلا أن أخذته حتى أقبل ثديها عليه باللبن، وصارت شارفهم حافلاً -أي قد امتلأ ضرعها من اللبن- فشربوا منه حتى رؤوا.

ثم بعد عامين عادت حليلة به لأمه وهي أحرص شيء على مكثه فيهم لما كانوا يرون من بركته فقالت: دعينا نرجع بابننا معنا؛ فإننا نخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا.

(وَشَقَّ صَدْرُهُ) شَقَّ صَدْرُهُ الشَّريف ﷺ.

والثابت حصوله مرتين:

الأولى: هي هذه التي كانت في صغره.

والثانية: هي التي وقعت قبل الإسراء.

وذكر أنه شَقَّ مرتين أُخْرَيْن وهو ابن عشر سنين وعند البعث، لكن الثابت ما سبق.

شَقَّ صدره ﷺ في صغره في صحيح مسلم.

وشَقَّ صدره ﷺ قبل الإسراء في الصحيحين.

أما ما ذكره الناظم وهو شق صدره في صغره ﷺ ففي صحيح مسلم عن أنس -رضي الله عنه-:

"أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل -عليه السلام- وهو يلعب مع الصبيان، فأخذه فصرعه فشق عن

قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست

من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -أي: إلى ظهره

حليمة السعدية- فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون". قال أنس -رضي الله

عنه-: "وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره ﷺ".

(وَشَقَّ صَدْرُهُ بَعْدَ اَرْبَعٍ)

قيل: إن حادثة شق الصدر كانت وهو ابن أربعة أعوام.

وقيل: إنها كانت وهو ابن عامين.

والأرجح ما ذكره الناظم أنها كانت وهو ابن أربعة أعوام؛ لأنه ثبت عند ابن إسحاق أنه ﷺ وقتها

كان يرعى الغنم، وابن عامين لا يترشح لرعيها.

(فَرَجَعَتْهُ ظِئْرُهُ) إلى أمه آمنة.

(وَمَاتَتْ أُمُّهُ بِالْأَبَوَا آمَنَةً) أُمُّ نَبِينَا آمَنَةٌ ذَهَبَتْ بِهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ تُزِيرُهُ أُخْوَالَهُ وَهُمْ أُخْوَالُ جَدِّهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، لِأَنَّ أُمَّ عَبْدِ الْمَطْلَبِ هِيَ سَلْمَى بِنْتُ عَمْرِو بْنِ النَّجَّارِ، ثُمَّ إِنَّهَا فِي عَوْدَتِهَا مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ تُوْفِيَتْ، فَصَارَ ﷺ إِلَى كِفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَقَدْ كَانَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ شَدِيدَ الْعَنَايَةِ بِهِ ﷺ وَالْمَحَبَّةِ لَهُ، كَانَ لَهُ فِرَاشٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ يَجْلِسُ بَنُوهُ حَوْلَهُ، وَكَانَ يُجْلِسُ النَّبِيَّ ﷺ مَعَهُ عَلَى الْفِرَاشِ، وَكَانَ لَا يُؤْتِي بِطَعَامٍ إِلَّا قَالَ: عَلَيَّ يَا بَنِي فَيُؤْتِي بَنِينَا ﷺ وَيَأْكُلُ مَعَهُ. وَمِنْ شَوَاهِدِ مَحَبَّتِهِ مَا وَرَدَ عَنْ كُنْدِيرِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: "حَجَجْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَبِينَا أَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذَا رَجُلٌ يَقُولُ:

رُدَّ إِلَيَّ رَاكِبِي مُحَمَّدًا رُدَّهَ إِلَيَّ وَاضْطَنَعُ عِنْدِي يَدَا

قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ بَعَثَ ابْنَ ابْنِهِ فِي إِبِلٍ لَهُ ضَلَّتْ وَمَا بَعَثَهُ بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ. قَالَ: فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى جَاءَ بِالْإِبِلِ مَعَهُ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ لَقَدْ حَزَنْتُ عَلَيْكَ كَالْمَرْأَةِ حُزْنًا لَا يُفَارِقُنِي أَبَدًا".

(وَالْجَدُّ مُوصٍ عَمَّهُ فِي الثَّامِنَةِ) كَفَّلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ لَوْصِيَّةَ جَدِّهِ بِهِ وَلِأَنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ شَقِيقَ عَبْدِ اللَّهِ وَالِدِ النَّبِيِّ ﷺ.

(سَافَرُ بُو طَالِبٍ لِاثْنَيْ عَشْرًا بِهِ) سَافَرَ أَبُو طَالِبٍ بِالنَّبِيِّ ﷺ حِينَ كَانَ عَمْرُهُ ﷺ اثْنَيْ عَشْرَةَ سَنَةً لِعَدَمِ مَنْ يَقُومُ بِهِ إِذَا تَرَكَهُ بِمَكَّةَ، فَرَأَى مِنَ الْآيَاتِ مَا زَادَهُ حَرَصًا عَلَيْهِ، رَأَى تَظْلِيلَ الْغَمَامَةِ لَهُ، وَمِيلَ الشَّجَرَةِ بِظِلِّهَا عَلَيْهِ، وَتَبَشِيرَ بَحِيرَا الرَّاهِبِ كَمَا فِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ، وَالْخَبَرَ لَهُ أَصْلَ مُحْفُوظٍ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ الْقَيْمِ وَابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ حَجَرٍ وَفِيهِ زِيَادَةٌ ضَعِيفَةٌ هِيَ مِنَ الْغُلْطِ الْوَاضِحِ وَهِيَ: "فَلَمْ يَزَلْ -يَعْنِي بَحِيرَا- يَنَاشِدُ أَبَا طَالِبٍ حَتَّى رُدَّهَ أَبُو طَالِبٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا" فَإِنَّ عُمَرَ أَبِي بَكْرٍ أَقْلٌ مِنَ عُمَرِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِ سَنَتَيْنِ، وَعُمَرُ بِلَالٍ أَقْلٌ مِنْ ذَلِكَ، لَكِنْ أَصْلُ الْخَبَرِ ثَابِتٌ كَمَا سَبَقَ.

ونصرة أبي طالب لنبينا ﷺ ترى فيها العجب، هو الذي يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي
ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة إنه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سببة
لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وله في لاميته:

كذبتم وبيت الله نُبزى محمدا
ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وفيها يقول:

لعمري لقد كُلفت وجدا بأحمد
وإخوته دأب المحب المواصل

إلى أن قال:

حَدَبْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمَيْتُهُ
ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

(بحيرا رده من بضري) لم يزل بحيرا يناشد أبا طالب حتى رده خوفاً عليه من اليهود وكان

بحيرا من رهبان النصارى.

قال - رحمه الله تعالى -:

وَعَامَ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ رَحَلَ ٧ لِلشَّامِ تَاجِرًا، وَمِنْ بُضْرَى قَفَلَ

خَدِيجَةَ زَوْجًا، كُلُّ الْوُلْدِ لَهُ ٨ مِنْهَا، سِوَى إِبْرَاهِيمَ جَا مِنْ مَارِيَهْ

قَاسِمٌ، زَيْنَبُ، رُقَيٌّ، فَاطِمَةُ ٩ كُلُّهُمْ، عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا الْخَاتِمَةُ

وَقَبْلَهُ مَاتُوا بِلا عَقْبٍ سِوَى ١٠ فَاطِمَةَ عَنْ نِصْفِ عَامٍ لِلتَّوَى
 وَعَامَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ حَكَمَ ١١ فِي وَضْعِهِ لِلْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ثَمَّ
 وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِينَ ١٢ أُرْسِلَ لِلْأَنَامِ أَجْمَعِينَ
 فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٣ وَ"افْرَأْ" "قُمْ" "الْحَمْدُ" أَوَّلُ الْمُنَزَّلِ
 وَعُلِّمَ الْوُضُو، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ١٤ لِلْقُدْسِ، وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ نُصِبُ عَيْنِ

(وَعَامَ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ) من عمره ﷺ (رَحَلَ) الرحلة الثانية (لِلشَّامِ تَاجِرًا) بمال خديجة - رضي الله عنها - وقد كانت سمعت عن صدقه وأمانته، فَأَحَبَّتْ أَنْ يَتَاجَرَ بِمَالِهَا، مِنْهَا الْمَالُ وَمِنْهُ الْمَتَاجِرَةُ، وَهُوَ الْمَسْمُوعُ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ بِالْقِرَاضِ وَالْمُضَارَبَةِ، فَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ مِيسِرَةٌ غَلَامٌ لَخَدِيجَةَ، فَرَأَى مِيسِرَةَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَا بِهِرَهُ.

(وَمِنْ بُصْرَى قَفْلٌ) أي رجع، القفول: هو الرجوع من السفر، والقافلة: هي الرفقة الراجعة من السفر.

قفل ﷺ من رحلته إلى الشام وقد ربحت تجارتها، فأخبر ميسرة سيده خديجة بما رأى من النبي ﷺ من عظيم أمانته وحسن خلقه وصدق حديثه، فرغبت أن يتزوجها النبي ﷺ لما في ذلك من الخير، وقد أراد الله بها الخير، فنالت بهذا الزواج ما لا يخطر بالبال من الشرف وهذا قوله: (خَدِيجَةُ زَوْجٌ) وخصائصها - رضي الله عنها وأرضاها - كثيرة، منها:

- أنها أول امرأة تزوجها.
- وأنه لم يتزوج عليها غيرها حتى مات.
- وأنها أول من آمن به من النساء بل أول من آمن به على الإطلاق لم يتقدمها رجل ولا امرأة.

- وأنه لم يولد للنبي ﷺ من أزواجه سوى من خديجة - رضي الله عنها - فكل أولاده ﷺ كانوا منها إلا إبراهيم فإنه من سُرِّيَّته مارية القبطية وهذا قوله: **(كُلُّ الْوُلْدِ لَهُ مِنْهَا)** أي من خديجة **(سوى إبراهيم جا من مارية)** القبطية التي أهداها المقوقس صاحب مصر للنبي ﷺ.

(قاسم) القاسم أول من وُلِدَ للنبي ﷺ وبه كان يكنى، **(زَيْنَبُ رُقَيَّ)** هي رُقَيَّةٌ لكنه رخمها هنا في غير النداء للضرورة، وإذا رَخَّمْتَ جاز لك في المرخم لغتان: لغة من ينتظر أي يلاحظ المحذوف - الذي هو تاء التأنيث هنا - كأنه باقٍ فيقول: رُقَيَّ بفتح الياء، واللغة الأخرى: لغة من لا ينتظر أي يعامل الاسم بعد الترخيم معاملة الاسم التام فيقول: رُقَيَّ والأول أكثر في كلامهم وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث.

(فاطمة كلثوم) قيل: صغراهن أم كلثوم، والمشهور: أن أصغر بنات النبي ﷺ هي فاطمة. **(عبدالله منها الخاتمة)** وكان عبدالله يلقب بالطيب والطاهر؛ لأنه ولد بعد النبوة، فالطيب والطاهر لقبان له لا ابنان آخران على الصحيح.

(وقبله ماتوا بلا عقب) أما بنوه الذكور فماتوا وهم صغار، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام، وتزوجن، ومِتْنَ في حياته ﷺ إلا فاطمة كما قال: **(سوى فاطمة عن نصف عام للتوى)** يقال: تَوَيَّ تَوًى إذا هلك، مقصوده أنها ماتت بعده بنصف عام.

في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - **"أن فاطمة عاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر"**. ثم قال - رحمه الله -:

وَعَامَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ حَكَمَ فِي وَضْعِهِ لِلْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ثَمَ

لما أكمل النبي ﷺ خمسًا وثلاثين سنة حضر بناء قريش للكعبة وشارك فيه، وذلك لما تصدعت جدران الكعبة فاحتاجت إلى أن يعاد بناؤها.

وخبّر مشاركة النبي ﷺ في بناء الكعبة في الصحيحين من حديث جابر - رضي الله عنه - أنه كان هو ﷺ ومعه العباس ينقلان الحجارة، وكان هذا قبل مبعثه ﷺ بخمس سنين، ولما وصلوا إلى موضع الحجر اختلفت قريش اختلافاً شديداً، كل قبيلة تريد أن يكون لها شرف وضع الحجر في موضعه، فاختلفوا وكادوا يقتتلون.

روي أن أبا أمية بن المغيرة - وهو والد أمنا أم سلمة رضي الله عنها - وكان أسنّ قريش قال: حكّموا أول رجل يطلع عليكم ففعلوا، فكان رسول الله ﷺ أول من طلع عليهم فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا هذا محمد، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر فقال ﷺ: "هلم إليّ ثوباً" فأُتي بالثوب، فأخذ الركن ووضعه في الثوب بيده ثم قال: "لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب" ثم ارفعه جميعاً، فرفعه حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه ﷺ في موضعه ثم بُني عليه، هذا قوله:

وَعَامَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ حَكَمَ فِي وَضْعِهِ لِلْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ثَمَ

ثم قال - رحمه الله -:

وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِينَ أُرْسِلَ لِلْأَنَامِ أَجْمَعِينَ

لما أكمل نبينا ﷺ أربعين سنة أُرْسِلَ رحمة للعالمين.

(وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ) في صحيح مسلم أنه ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: "ذاك يوم وُلِدْتُ فيه، وَبُعِثْتُ فيه أو قال: أُنْزِلَ عليّ فيه".

(لِأَرْبَعِينَ) أي حين كان ابن أربعين سنة.

في الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: "بُعِثَ رسول الله ﷺ لِأَرْبَعِينَ سنة".
(أُرْسِلَ لِلْأَنَامِ أَجْمَعِينَ) الأنام: الجن والإنس ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

(فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ) كَانَ مَبْعُوثُهُ ﷺ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ كَمَا فِي أَثَرِ جَابِرِ وَابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُمَا قَالَا: "وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَفِيهِ بَعُثَ، وَفِيهِ عُرِجَ إِلَى السَّمَاءِ، وَفِيهِ هَاجَرَ، وَفِيهِ مَاتَ".

ارْتَبَطَتِ الْأَحْدَاثُ الْعِظَامُ فِي حَيَاتِهِ ﷺ بِيَوْمِ الْاِثْنَيْنِ وَبِشَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ - بِالتَّنْوِينِ وَتَجُوزُ الْإِضَافَةُ -، فَفِيهِمَا وُلِدَ وَبُعِثَ وَهَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ وَوَصَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتُوفِيَ ﷺ.

(فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ) كَانَ مَبْعُوثُهُ ﷺ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ فَاَلْمَقْصُودُ بِهِ أَنَّهُ نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ؛ لِأَنَّ إِنْزَالَ الْقُرْآنَ نَوْعَانِ: إِنْزَالَ كِتَابَةٍ، وَإِنْزَالَ تَكْلِيمٍ.

إِنْزَالَ الْكِتَابَةِ هُوَ إِنْزَالُهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

وَالنَّوْعُ الْآخَرُ: إِنْزَالَ التَّكْلِيمِ، تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ وَسَمِعَهُ مِنْهُ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَسَمِعَهُ مِنْ جَبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - نَبِيُّنَا ﷺ، فَاَلْمَقْصُودُ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِنْزَالَ الْكِتَابَةِ وَأَمَّا مَبْعُوثُهُ ﷺ فَكَانَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ.

(وَاقْرَأْ) (قُمْ) (الْحَمْدَ) (أَوَّلَ الْمُنَزَّلِ)

(وَاقْرَأْ) الْمَقْصُودُ صَدْرُ سُورَةِ اقْرَأْ، وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ بَدَأِ الْوَحْيِ فِي الصَّحِيحِينَ عِنْدَمَا

جَاءَ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ لِنَبِيِّنَا ﷺ: "اقْرَأْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ:

فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي

الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي

الْجَهْدَ، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾" الْآيَاتُ الْخَمْسُ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْعَلَقِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَأَلَ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلُ؟ فَقَالَ:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فَمَا الْجَوَابُ؟

أجاب العلماء بأجوبة منها:

١. أن المقصود بحديث جابر: أول سورة كاملة؛ لأن الذي نزل من سورة العلق إنما هو

الآيات الخمس من أولها.

٢. أن المقصود أول ما نزل بعد فترة الوحي؛ لأنه في حديث جابر أن النبي ﷺ قال: "فإذا

الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحَرَاءٍ" ولما جاءه بحراء نزل صدر سورة العلق.

٣. أن المقصود بحديث جابر أولية مخصوصة، أي أول ما نزل للإنذار فالنبي ﷺ نبيء باقرأ

وأرسل بالمدثر.

وذكر الناظم قولاً ثالثاً وهو: أن أول ما نزل سورة الفاتحة، ولا شك أن فاتحة الكتاب نزلت

بمكة، يدل له قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾

المقصود بالسبع المثاني الفاتحة، وسورة الحجر مكية بلا خلاف، فتكون سورة الفاتحة

نزلت بمكة، وما حُفِظَ أنه كان في الإسلام صلاة قط بغير الفاتحة كما ذكر القرطبي، وقيل:

إن الفاتحة أول ما نزل من القرآن لكن المعتمد أن أول ما نزل صدر سورة العلق.

هذا قوله: (وَاقْرَأْ) أي سورة العلق، (قُمْ) أي سورة المدثر ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾،

(الْحَمْدَ أَوَّلَ الْمُنْزَلِ) أي سورة الفاتحة.

(وَعُلِّمَ الْوُضُوءَ) لا خلاف بين جميع أهل السيرة أن النبي ﷺ منذ افترضت عليه الصلاة بمكة

لم يصل إلا بوضوء، وهو مثل وضوئنا اليوم، ورد هذا في مسند الإمام أحمد عن زيد بن حارثة

-رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: "أن جبريل أتاه في أول ما أُوحِيَ إليه فعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ"

والحديث ضعفه أبو حاتم وغيره لكن معناه مقطوع به؛ لأن الصلاة متوقفة على الوضوء،

وجبريل هو الذي يتلقى منه نبينا ﷺ الدين، فيكون قد تلقى منه الوضوء كما تلقى منه الصلاة.

(وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ لِلْقُدْسِ وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ نُصْبُ عَيْنٍ) تقول: جعلته نُصْبَ عيني بضم النون، واختلف في الفتح فقليل: لحن، وقيل: بل مسموع.

أَمَرَ ﷺ باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلي بين الركنين، فتكون الكعبة بين يديه وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فكان يصلي إلى بيت المقدس إلى أن حُوِّلَتِ القبلة إلى الكعبة.

قال - رحمه الله تعالى -:

بَعْدَ اَرْبَعٍ بِالَّذِينَ جَهْرَةً أَمَرَ ١٥ وَشَقَّ نِصْفَيْنِ لِأَجْلِهِ الْقَمَرُ

وَأَرْبَعُ صُحْبَةٍ اثْنَتَيْ عَشَرَ ذَكَرَ ١٦ إِلَى النَّجَاشِيِّ هَاجَرُوا خَوْفَ الضَّرَرِ

فِي الْخَمْسِ عَادُوا، ثُمَّ عَادُوا وَهُمْ ١٧ مَعَ الثَّمَانِينَ ثَلَاثًا، مَعَهُمُ

ثَمَانِ عَشْرًا نَثَى، وَمِنْ قَبْلُ اسْتَقَرَّ ١٨ إِسْلَامُ حَمْزَةٍ، وَفِي السَّتِّ عُمَرُ

وَالسَّابِعُ إِسْلَامُ النَّجَاشِيِّ الْعَشْرًا ١٩ مَوْتُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ الْكُبْرَى

وَقَبْلُ كَانَتْ قِصَّةُ الصَّحِيفَةِ ٢٠ وَالشَّعْبُ فِي سِنِيهِ الْمُخِيفَةِ

ثُمَّ أَتَتْ جُنُودُ نَصِيبِينَ اسْلَمَتْ ٢١ نَعَمْ، وَالْأَشْجَارُ مَشَتْ وَسَلَّمَتْ

(بَعْدَ اَرْبَعٍ بِالَّذِينَ جَهْرَةً أَمَرَ) بقي ﷺ يدعو سرًّا ثم في السنة الرابعة جهر بالدعوة حين نزل عليه قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

(وَشَقَّ نِصْفَيْنِ لِأَجْلِهِ الْقَمَرُ) في الصحيحين عن أنس - رضي الله عنه -: "أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ انشقاق القمر".

انشق القمر فلقين حتى رأوا جبل حراء بينهما لكنهم لم يؤمنوا بل استمروا على تكذيبهم، وقالوا: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ -صلى الله وسلم على نبينا محمد- فنزل قوله تعالى: ﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾.

قال:

وَأَرْبَعُ صُحْبَةٍ اثْنَتَيْ عَشَرَ ذَكَرَ إِلَى النَّجَاشِيِّ هَاجَرُوا خَوْفَ الضَّرَرِ

لَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يَصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالتَّعْذِيبِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ قَالَ لَهُمْ: "لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ؛ فَإِنْ بِهَا مَلِكًا لَا يَظْلِمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صَدَقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ" فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَرَارًا بِدِينِهِمْ إِلَى اللَّهِ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ هَذَا قَوْلُهُ: (وَأَرْبَعُ صُحْبَةٍ اثْنَتَيْ عَشَرَ ذَكَرَ) هَذَا عَدَدُ الْمُهَاجِرِينَ الْهَاجِرَةِ الْأُولَى إِلَى الْحَبَشَةِ، كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعَ نِسْوَةٍ.

(إِلَى النَّجَاشِيِّ هَاجَرُوا) وَاسْمُهُ أَصْحَمَةُ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، أَمِنُوا عَلَى دِينِهِمْ، وَلَمْ يَخْشَوْا ظِلْمًا (خَوْفَ الضَّرَرِ) خَوْفَ أَنْ تَفْتِنَهُمْ قَرِيشٌ فِي دِينِهِمْ.

(فِي الْخَمْسِ) أَيِ فِي الْعَامِ الْخَامِسِ مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ (عَادُوا) بَلَّغَهُمْ أَنَّ الْأُمُورَ قَدْ صَلَحَتْ فَعَادُوا فَتَبَيَّنَ أَنَّ الْأَمْرَ أَشَدُّ مِمَّا كَانَ، فَمِنْهُمْ مَنْ دَخَلَ مَكَّةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَجَعَ إِلَى الْحَبَشَةِ وَهَذَا قَوْلُهُ: (ثُمَّ عَادُوا) أَيِ إِلَى الْحَبَشَةِ، (وَهُمْ مَعَ الثَّمَانِينَ ثَلَاثَ مَعَهُمْ ثَمَانِ عَشْرُ أَنْثَى) هَذَا عَدَدُ الْمُهَاجِرِينَ الْهَاجِرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ، كَانُوا ثَلَاثَةَ وَثَمَانِينَ رَجُلًا وَثَمَانِيَةَ عَشْرَةَ امْرَأَةً.

(وَمِنْ قَبْلُ اسْتَقَرَّ إِسْلَامُ حَمْزَةَ) حمزة عم النبي ﷺ وهو أخوه من الرضاعة، أرضعتها ثوية مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح، وكان أَسَنَ من النبي ﷺ بسنتين، وقد عَزَّ الإسلام بإسلامه، وأدركت قريش أنه قد امتنع عنهم النبي ﷺ.

(وَفِي السِّتِّ عُمَرُ) بعد إسلام حمزة بأيام قلائل قيل: بثلاثة أيام أسلم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فكان في إسلامهما عَزٌّ للإسلام والمسلمين.

في البخاري عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: "ما زلنا أَعِزَّةً منذ أسلم عمر".

(وَالسَّابِعُ إِسْلَامُ النَّجَاشِيِّ) أسلم النجاشي على يد جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وكان يخفي إسلامه عن قومه، وقد مات في السنة التاسعة كما سيأتي -إن شاء الله- في النظم، وصلى عليه النبي ﷺ.

والنجاشي لم يَلَقَ النبي ﷺ فهو تابعي -رحمه الله-، ويمكن أن يُلْغَزَ في هذا فيقال: تابعي صلى عليه النبي ﷺ.

وقد أسلم عمرو بن العاص -رضي الله عنه- على يد النجاشي، وفي هذا يُلْغَزُونَ يقولون: صحابيُّ أسلم على يد تابعي فمن هو؟ الجواب: هو عمرو بن العاص -رضي الله عنه- أسلم على يد النجاشي رحمه الله.

(الْعَشْرُ مَوْتُ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ الْكُبْرَى) في هذه السنة العاشرة مات أبو طالب الذي كان يدفع عن النبي ﷺ وينصره قالت عائشة -رضي الله عنها-: "ما زالت قريش كاعَّةً حتى توفي أبو طالب" تعني: أنه لما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب.

وبعد موت أبي طالب بثلاثة أيام على المشهور توفيت خديجة -رضي الله عنها- التي كانت وزيرة صدق للنبي ﷺ تُثَبِّتُهُ وتُهَوِّنُ عليه ما يلقيه من قومه، وتُخَفِّفُ عنه.

وهذا قوله: (مَوْتُ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ الْكُبْرَى) أي خديجة رضي الله عنها.

(وَقَبْلُ) أي قبل موت أبي طالب.

... كَانَتْ قِصَّةُ الصَّحِيفَةِ وَالشَّعْبِ فِي سِنِّيهِ الْمُخِيفَةِ

(فِي سِنِّيهِ) إذا أضفت كلمة (سِنِينَ) إلى الهاء فالأصل أن تقول في النصب والجر: (سِنِيهِ) ولا تشدد الياء، وتشديدها معدود من اللحن، قال في منحة المליح:

سِنِينَ لِيَا إِنْ تُضَفَ فَخَفَّفَ وَشَاعَ تَشْدِيدُ (سِنِي يَوْسُفَ)

وكان يمكن أن يقول: (فِي سِنِينِهِ)، كما قال ابن مالك: (وَمِثْلُ حِينَ قَدْ يَرِدُ ذَا الْبَابِ) فقد تبقى النون مع الإضافة.

(وَقَبْلُ كَانَتْ قِصَّةُ الصَّحِيفَةِ) لما رأت قريش أن أمر الإسلام يعلو وينتشر، وأن أساليبها كلها باءت بالفشل أجمعت على مقاطعة النبي ﷺ، فكتبوا في ذلك كتاباً تعاقدوا فيه على بني هاشم ألا يَنْكِحُوا إليهم ولا يُنْكِحُوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، وأن يُضَيِّقُوا عليهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، كتبوا ذلك في صحيفة وعلّقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم.

فلما رأى أبو طالب تَأَلَّبَ قريش على ابن أخيه ﷺ قام في بني هاشم وبني المطلب، وأجمعوا أن يُدْخِلُوا رسول الله ﷺ في شِعْبِهِمْ، وأن يمنعوه مما أرادته قريش من قتله، ولبثوا في ذلك الشعب ثلاث سنين اشتد عليهم فيه الجهد والبلاء، ثم قام نَفَرٌ من قريش من أهل المروءة في نقض الصحيفة، سعى في نقضها هشام بن عمرو بن ربيعة وضم إليه زهير بن أبي أمية والمطعم ابن عدي وأبا البختری وزمعة بن الأسود، هؤلاء الخمسة سَعَوْا في نقض الصحيفة.

وخبر الصحيفة ترويه كتب السيرة، ويشهد له ما في البخاري من قوله ﷺ: "مَنْزِلُنَا غَدَا - إِنْ شَاءَ

الله - بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ" يشير إلى خبر الصحيفة.

وتشهد له أيضًا خطبة عتبة بن غزوان وقد بعثه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أميرًا على البصرة فقام فيهم وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بِصُرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَاءً، ولم يَبْقَ منها إلا ضَبَابَةٌ كُضْبَابَةٌ الإِنَاءِ يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوالَ لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذُكِرَ لنا أن الحَجَرَ يُلقَى به من شَفِيرِ جَهَنَّمَ فيَهْوِي فيها سبعين عامًا لا يُدْرِك لها قَعْرًا، ووالله لَتُمْلَأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ؟ ولقد ذُكِرَ لنا أن ما بين مصرَعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنةً، وليَأْتِيَنَّ عليها يومٌ وهي كَظِيظٌ من الزَّحَامِ، ولقد رأيتني سابعَ سبعةٍ مع رسول الله ﷺ ما لنا طعامٌ إلا وَرَقُ الشَّجَرِ حتى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وبين سعد بن مالك فاتزرتُ بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منّا أحدٌ إلا أصبح أميرًا على مصرٍ من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا وعند الله حقيرًا" فالمسلمون أودوا في الشَّعب، وأصابهم من الجَهد والبلاء شيء عظيم، لبثوا على ذلك في الشَّعب ثلاث سنواتٍ، فلما خرجوا من الشَّعب ونُقِضَتِ الصحيفة لم يلبث أبو طالب أن وافته المنية.

قال - رحمه الله -:

ثُمَّ أَتَتْ جَنُّ نَصِيبِينَ اسْلَمَتْ ٢١ نَعَمْ، وَالْأَشْجَارُ مَشَتْ وَسَلَّمَتْ

في صحيح البخاري قال ﷺ: "أَتَانِي وَفْدٌ جِنِّ نَصِيبِينَ وَنَعَمْ الْجِنُّ".

وكان ذلك بعد خمسين سنة وثلاثة أشهر من عمره ﷺ أثناء قفوله من الطائف أتاه جن نصيبين وسمعوه يقرأ القرآن وأسلموا.

(نَعَمْ وَالْأَشْجَارُ مَشَتْ وَسَلَّمَتْ) في صحيح مسلم: "أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِشَجَرَةٍ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَاِنْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ، وَقَالَ لِأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ" المخشوش: الذي في أنفه الخشاش، والخشاش: عُوْدٌ يُجْعَلُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ إِذَا كَانَ صَعْبًا، وَيُشَدُّ فِيهِ حَبْلٌ فَيَذَلُّ الْبَعِيرَ وَيُنْقَادُ.

والأخبار في هذا كثيرة وقد عقد القاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ فصلاً في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته ﷺ وذكر تحته أخباراً كثيرة في انقياد الشجر له وسلامها، وهذا من معجزاته ﷺ التي أكرمها الله بها.

قال - رحمه الله تعالى -:

في رَمَضانَ أَحَدَى وَخَمْسِينَ نَكَحَ ٢٢ سَوْدَةَ، ثُمَّ الْعَقْدُ فِي شَوَّالٍ صَحَّ
عَلَى ابْنَةِ الصَّدِّيقِ، ثُمَّ الْإِسْرَا ٢٣ وَالْبَيْعَةُ الْأُولَى مَعَ اثْنَيْ عَشْرًا
وَبَعْدَ عَامٍ بَيْعَةُ السَّبْعِينَ ٢٤ وَصَفَرَ الثَّلَاثِ وَالْخَمْسِينَ
هَاجَرَ نَحْوَ طَيْبَةِ مُقِيمَا ٢٥ عَشْرَ سِنِينَ لِلْهُدَى مُقِيمَا
جَمَعَ فِي الْأُولَى، وَآخَى، أَذْنَا ٢٦ وَمَسْجِدِي قُبَا وَطَيْبَةِ بَنَى

قال - رحمه الله -:

في رَمَضانَ أَحَدَى وَخَمْسِينَ نَكَحَ سَوْدَةَ، ثُمَّ الْعَقْدُ فِي شَوَّالٍ صَحَّ
عَلَى ابْنَةِ الصَّدِّيقِ، ثُمَّ الْإِسْرَا وَالْبَيْعَةُ الْأُولَى مَعَ اثْنَيْ عَشْرًا

لَمَّا تُوفِّيتْ خديجة - رضي الله عنها - جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون إلى النبي ﷺ فقالت: "يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكرة وإن شئت ثيبًا. قال: فمن البكر؟ قالت: ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر. قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة، آمنت بك، واتبعتك على ما تقول؟ قال: فاذهبي فاذهبيهما علي... " الحديث.

وصحَّح ابن كثير وغيره أن عقده على عائشة - رضي الله عنها - كان قبل زواجه بسودة - رضي الله عنها -، ومما يشهد له ما في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت عن سودة

- رضي الله عنها-: **"وكانت أول امرأة تزوجها بعدي"** أي أنه ﷺ عقد على سودة بعد أن عقد على عائشة، لكنه ﷺ ما دخل بعائشة إلا بعد ذلك بثلاث سنين، ففي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها- أنها قالت: **"تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين"** وقد جمع بعضهم ترتيب زوجات النبي ﷺ الإحدى عشرة في بيت واحد على الترتيب الذي تزوجهن عليه رسول الله ﷺ فقال:

خليلي سبي عقلي حلا زين هالة زها جفنها رمزاً صحيحاً مهذباً

خليلي: الخاء خديجة رضي الله عنها.

سبي: السين سودة رضي الله عنها.

عقلي: العين عائشة رضي الله عنها.

حلا: الحاء حفصة رضي الله عنها.

زين: الزاي زينب بنت خزيمة رضي الله عنها.

هالة: الهاء هند وهي أم سلمة رضي الله عنها.

زها: الزاي الثانية زينب بنت جحش رضي الله عنها.

جفنها: الجيم جويرة رضي الله عنها.

رمزاً: الراء رمة بنت أبي سفيان وهي أم حبيبة رضي الله عنها.

صحيحاً: الصاد صفية رضي الله عنها.

مهذباً: الميم ميمونة رضي الله عنها.

ونظمهن الشيخ غالي بن المختار فال الأنصاري الشنقيطي -رحمه الله تعالى- في نظم أمهات المؤمنين بأبسط من هذا فقال:

أَوَّلُهُنَّ حُبَيْتُ تَزْوِيجَهُ خَيْرُ النِّسَاءِ أُمُّنَا خَدِيجَةُ

فَسُودَةٌ عَائِشَةُ فَحَفْصَةُ فَزَيْنَبُ فَهْنَدُ ثُمَّ بَرَّةُ
أَيُّ زَيْنَبُ فَأُمُّنا جُؤَيْرِيَّةُ فَرَمْلَةُ صَفِيَّةُ النَّضِيرِيَّةُ
فَأُمُّنا أُخْتُ بَنِي هِلَالٍ مَيْمُونَةُ صَاحِبَةُ الْكَمَالِ

رضي الله عنهن وأرضاهن وجعل أعالي الفردوس مسكنهن ومثواهن.

ومن خصائص عائشة رضي الله عنها:

- أنها أحبُّ أزواجه إليه.
- وأنه لم يتزوج بكرة غيرها.
- وأن الوحي كان ينزل على نبيِّنا ﷺ وهو معها في لحافها.
- وأنها نزل وحيٌّ يتلى بطهارتها وبراءتها من الإفك الذي رُميت به وهي الآيات في سورة النور.

- وأن النبي ﷺ توفي بين سحرها ونحرها.
- وأنها أفقه أمهات المؤمنين بل أفقه نساء الأمة بل هي أفقه النساء مطلقاً منذ أن خلق الله تعالى حواء إلى يوم القيامة.

(ثُمَّ الْإِسْرَاءُ) بعد واحدٍ وخمسينَ عاماً من عمره ﷺ أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راکباً البراق، ثم عُرِجَ به في الليلة نفسها إلى ما فوق السماء السابعة.

وفي كل سماء يقال: من هذا؟ فيجيب جبريل ويقول: جبريل، فيقال: ومن معك؟ فيقول جبريل: محمد ﷺ. فيقال: وقد أرسل إليه؟ فيقول جبريل: نعم. فيقال: مرحباً به فنعم المجيء جاء. هكذا في كل سماء.

لقي في السماء الدنيا آدم عليه السلام.

وفي الثانية لقي ابني الخالة يحيى وعيسى.

وفي **الثالثة** لقي يوسف.

وفي **الرابعة** لقي إدريس.

وفي **الخامسة** لقي هارون.

وفي **السادسة** لقي موسى.

وفي **السابعة** لقي إبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وهم مجموعون بترتيبهم في قولك: (أعي فاهما)

الهمزة لآدم - عليه السلام - في السماء الدنيا.

والعين والياء لعيسى ويحيى - عليهما السلام - في السماء الثانية.

والفاء ليوسف - عليه السلام - في السماء الثالثة.

والألف هذه إشارة إلى همزة إدريس - عليه السلام - في السماء الرابعة.

والهاء لهارون - عليه السلام - في السماء الخامسة.

والميم لموسى - عليه السلام - في السماء السادسة.

ثم **الألف** هذه إشارة إلى همزة إبراهيم في السماء السابعة.

ثم عُرِجَ به ﷺ إلى سدرة المنتهى، ورأى جبريل على الصورة التي خلقه الله عليها، وفرضت عليه الصلوات الخمس. وحديث الإسراء طويل في الصحيحين.

وسبق أن الثابت في شق صدره ﷺ أنه كان مرتين: الأولى في صغره، والأخرى قبل الإسراء، فقد شق صدره ﷺ قبل الإسراء، فاستخرج قلبه، ثم أُتِيَ بطست من ذهب مملوء إيماناً، فغُسلَ قلبه، ثم حُشي ثم أعيد ثم أُتِيَ بالبراق وأُسْرِيَ به ﷺ، ولاحظ أنه ﷺ ركب البراق، لكن في الهجرة ركب دابة مع أنه كان يمكن أن يصل إلى المدينة في لحظات على البراق، والفرق أنه في الهجرة مؤتسّى به يُبلّغُ شرعاً للأمة كلّها بخلاف الإسراء والمعراج فهو خاص به ﷺ.

(وَالْبَيْعَةُ الْأُولَى مَعَ اثْنَيْ عَشَرَ) في السنة الثانية عشرة من مبعث النبي ﷺ كانت البيعة الأولى، وكان لقي في السنة التي قبلها ستة من الخزرج، فدعاهم وتلا عليهم شيئاً من القرآن فأسلموا، ثم كانت البيعة الأولى في السنة الثانية عشرة بايعه اثنا عشر رجلاً ثم رجعوا إلى قومهم ومعهم مصعب بن عمير.

(وَبَعْدَ عَامٍ بَيْعَةُ السَّبْعِينَ) في السنة الثالثة عشرة من مبعث النبي ﷺ كانت البيعة الثانية، بايعه سبعون.

والبيعة الأولى كانت على الإسلام وأما الثانية فكانت على الإيواء والنصرة.
ثم قال - رحمه الله -:

وَصَفَرَ الثَّلَاثِ وَالْخَمْسِينَ

هَاجَرَ نَحْوَ طَيْبَةِ مُقِيمَا عَشَرَ سِنِينَ لِلْهُدَى مُقِيمَا

في شهر صفر على قولٍ هاجر ﷺ إلى المدينة، لكن الصواب أنه كانت هجرته في ربيع الأول لأثر جابر وابن عباس - رضي الله عنهم - الذي تقدم غير مرة أنه كانت هجرته في ربيع الأول، وقد كان خروجه من مكة يوم الاثنين ودخوله المدينة يوم الاثنين أيضاً.

في الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: "بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوْحَى إِلَيْهِ" هذا شاهد قوله: (الثَّلَاثِ وَالْخَمْسِينَ) قال: "ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشَرَ سِنِينَ" هذا شاهد قوله: (مُقِيمَا عَشَرَ سِنِينَ) "وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً".

قال - رحمه الله -:

جَمَعَ فِي الْأُولَى، وَآخَى، أَذْنَا ٢٦ وَمَسْجِدِي قُبَا وَطَيْبَةِ بَنَى

وَأُنْزِلَ أَتَمَامُ الصَّلَاةِ أَرْبَعًا ٢٧ وَبَعْضُ مَنْ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ رَجَعَا
 فِيهَا بَنَى بَعَائِشٍ، وَالثَّانِيَهُ ٢٨ غَزَا بِالْأَبْوَا، وَبُوطٌ تَالِيَهُ
 وَبَدْرُ الْأُولَى، ذُو عَشِيرٍ، وَوَجَبٌ ٢٩ تَحَوَّلَ الْقِبْلَةُ فِي نَصْفِ رَجَبٍ
 وَالصَّوْمُ فِي شَعْبَانَ، كُبْرَى بَدْرٍ ٣٠ فِي رَمَضَانَ، وَزَكَاةُ الْفِطْرِ

هنا شرع الناظم يذكر حوادث السنة الأولى من الهجرة.

(جَمَعَ) أي صلى الجمعة (في الأولى) أي في السنة الأولى.

لم يكن النبي ﷺ يتمكن من إقامة الجمعة بمكة؛ لشدة مخالفة المشركين وأذيتهم له، وأولُ
 جمعة صلاها النبي ﷺ هي التي كانت بعد هجرته، زالت عليه الشمس يوم الجمعة وهو بين
 قباء والمدينة في وادي رانواء في بني سالم بن عوف، وصلى الجمعة هناك ثم بعد ذلك بُنيَ
 مسجدٌ في ذلك الموضع سمي مسجد الجمعة وهو معروف اليوم بين مسجد النبي ﷺ ومسجد
 قباء.

(وَأَخَى) أخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار؛ لتذهب عن المهاجرين وحشة الغربة،
 ووحشة مفارقة الأهل والعشيرة؛ فإنهم تركوا بمكة كل ما يملكون لله ورسوله ﷺ، وقد كانوا
 يتوارثون بعد الموت بهذه المؤاخاة إلى حين وقعة بدر، فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ
 بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ نُسخ التوارث وبقيت المواساة.

وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في الإيثار، ومن شواهد هذا ما كان بين عبدالرحمن بن عوف
 من المهاجرين وسعد بن الربيع من الأنصار، وقد أخى بينهما النبي ﷺ فعرض سعد على
 عبدالرحمن أن يناصفه أهله وماله فقال: "قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً، سأقسم مالي

بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها" فقال عبدالرحمن بن عوف: "بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق".

وقد نوه الله تعالى بإيثارهم في آية تتلى في كتابه فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقد قال فيهم أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-: يا معشر الأنصار جزاكم الله خيرا فوالله ما مثلكم ولا ما قال طفيل الغنوي لبني جعفر:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَرْزَلَتْ بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَرَزَلَتْ
هُمْ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَالْجَوُّوا إِلَى حُجَرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظْلَلَتْ
أَبَوْا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمَّنَا تُلَاقِي الَّذِي لَاقَوْهُ مِنَّا لَمَلَّتْ

(أَذْنَا) كان الناس قبل أن يُشرَعَ الأذان يتحيّنون وقت الصلاة، فإذا شعروا أن الوقت قد قُرب أتوا المسجد، ثم رأى عبدالله بن زيد بن عبدربه -رضي الله عنه- رؤيا فيها الأذان المعروف الآن، فعرضها على النبي ﷺ، فقال ﷺ: "إنها لرؤيا حق" وأمره أن يلقي الأذان على بلال رضي الله عنه.

(وَمَسْجِدِي قُبَا وَطَيْبَةُ بَنِي) لما وصل النبي ﷺ إلى قباء أول ما فعل أنه بنى المسجد، وهو أول مسجد بني في الإسلام، وهو المسجد الذي أسس على التقوى، وقد أقام ﷺ في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة كما في الصحيحين.

وبنى ﷺ أيضا مسجدا المدينة، فإنه لما قَدِمَ المدينة بركت ناقته قريبا من دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فبنى مسجده ﷺ هناك، وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين

يتيمين من بني النجار كان الذي يكفلهما أسعد بن زرارة رضي الله عنه، فاشترى ﷺ مكانه، وبني المسجد في ذلك المكان.

(وَأُنْزِلَ اِتْمَامُ الصَّلَاةِ أَرْبَعًا) أي صارت الثنائية أربع ركعات وهي الظهر والعصر والعشاء. في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَفَرَضْتُ أَرْبَعًا، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْأَوَّلِ" يعني أن الظهر والعصر والعشاء كانت في مكة تصلى ركعتين، فلما هاجر النبي ﷺ صارت تصلى أربع ركعات وبقيت في السفر ركعتين كما كانت قبل الهجرة.

قال العلامة ببها ولد العاقل الشنقيطي - رحمه الله - في نظم حوادث السنين:

وَبَعْدَ شَهْرٍ مِنْ قُدُومِ الْمُضَرِّي قَدْ تُمَمَّتْ لَهُ صَلَاةُ الْحَضَرِ

(وَبَعْضُ مَنْ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ رَجَعًا) أي ممن هاجر من مكة إلى الحبشة، فلما استوطن النبي ﷺ المدينة رجع من الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلًا وثمانين نسوة، لحقوا بالنبي ﷺ بعد قدومه المدينة.

(فِيهَا بَنَى بَعَائِشٍ) في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين وبني بي وأنا بنت تسع سنين" وكان ذلك في شوال ففي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبني بي في شوال".

(وَالثَّانِيَةِ) أي في السنة الثانية (غَزَا بِالْأَبْوَا) جعلها الناظم في حوادث السنة الثانية، وبعضهم يعدّها في حوادث السنة الأولى، والسبب في هذا الخلاف: أن أهل السيرة لهم طريقتان في عدّ السنين، فمنهم من يعدّها من ربيع الأول الذي هاجر فيه النبي ﷺ إلى ربيع الأول، وقد كانت غزوة الأبواء في صفر، فعلى هذه الطريقة في العدّ هي من حوادث السنة الأولى، ومنهم من يعدّها السنة

الأولى من ربيع الأول الذي هاجر فيه النبي ﷺ إلى المحرم، ومن المحرم تبتدئ السنة الثانية، وقد جرى على هذا كثير من أهل العلم، وعلى هذا تكون غزوة الأبواء من حوادث السنة الثانية. وغزوة الأبواء هي أول غزوة غزاها النبي ﷺ، قال البدوي - رحمه الله - في نظم الغزوات:

أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا الْمُصْطَفَى وَدَّانُ فَالْأَبْوَءِ أَوْ تَرَادَفَا

(ترادفا) أي أنهما غزوة واحدة، وودان والأبواء موضعان متقاربان بينهما ستة أميال.

خرج النبي ﷺ في جماعة من أصحابه في غزوة الأبواء يعترضون عيرًا لقريش عليها أبو جهل؛ ليصيبوا من قريش ما أصابت منهم، ويستردوا الأموال التي أخذتها منهم قريش، لكن لم يدركوهم، وتمت موادة بني ضمرة مع سيدهم مخشي بن عمرو الضمري.

(وَبُؤَاطٌ تَالِيَةٌ) خرج ﷺ يعترض قافلة من قوافل التجارة لقريش فيها أمية بن خلف، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا، قال البدوي في نظم الغزوات:

ثُمَّ بُؤَاطٌ خَرَجُوا لِعِيرِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفِ السِّفْسِيرِ

السِّفْسِير: التاجر.

(وَبَدْرُ الْأُولَى) غزوة بدر الأولى تسمى غزوة سَفَوَانَ، وذلك أن كُرْزَ بن جابر الفهري أغار على سَرْحِ المدينة - السَّرْحُ: الإبل والمواشي التي تسرح للرعي - فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له: سَفَوَانَ، وأفلت كرز بن جابر فلم يدركه النبي ﷺ ورجع ﷺ إلى المدينة. ومن اللطيف أن كرز بن جابر الذي أغار على سَرْحِ المدينة هو الذي استنقذ لقاح النبي ﷺ من العُرَيْنَيْنِ لما استولوا عليها، وذلك بعد إسلامه رضي الله عنه.

قال البدوي في نظم من الغزوات:

فَبَدْرُ الْأُولَى بِإِثْرِ نَاهِبِ سَرْحِ الْمَدِينَةِ مُغْدٌ هَارِبِ

كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ وَبَعْدُ اسْتَنْقَاذَا لِقَاحَهُ مِمَّنْ عَلَيْهِ اسْتَحْوَذَا

(مُعَذِّ) أي مُسْرِع، (وبعد...) أي بعد أن أغار على سرح المدينة أسلم - رضي الله عنه - وهاجر إلى النبي ﷺ ثم هو الذي استنقذ لقاح النبي ﷺ من العُرَيْنِ.

(ذُو عَشِيرٍ) العشير يقال لها: العشيرة والعشيرة والعشيرة وتقال بالسين أيضا، خرج النبي ﷺ فيها إلى عِيرِ أَبِي سَفِيانٍ في ذهابها للشام ففاته ولم يدركها، وهي العِيرُ التي خرج إليها لما رجعت من الشام فكانت بسببها وقعة بدر.

قال البدوي - رحمه الله - في نظم الغزوات:

ثُمَّ الْعَشِيرَةُ إِلَى عِيرِ أَبِي سَفِيانٍ فِي ذَهَابِهَا لِلْأَرْبِ

يعني في ذهابها إلى الشام للتجارة.

والناظم - رحمه الله - لم يُرَتَّبْ، فقدَّم ذكر بدر الأولى على العشيرة، وقد كانت العشيرة قبل بدر الأولى بنحو عشرة أيام.

فترتيب الغزوات التي ذكرها الناظم: الأبواء ثم بواط ثم العشيرة ثم بدر الأولى.

(وَوَجَبَ تَحَوُّلُ الْقِبْلَةِ فِي نِصْفِ رَجَبٍ) قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

لا خلاف بين العلماء أن تحوُّل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة كان في السنة الثانية من الهجرة، لكن قيل: كان ذلك في جمادى الآخرة، وقيل: كان في شعبان، والذي جزم به الجمهور أنه كان في نصف رجب كما ذكر الناظم، وقد رواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قاله الحافظ في الفتح.

(وَالصَّوْمُ فِي شَعْبَانَ) كان فرض الصوم في شعبان من السنة الثانية أي بعد تحوُّل القبلة بشهر،

فأول رمضان صامه النبي ﷺ كان في السنة الثانية، وقد صام ﷺ تسع رمضان.

(كَبْرَى بِدْر) هذه غزوة بدر الكبرى، وثُمَّ ثلاث غزوات تسمى ببدر في السيرة:

الأولى: بدر الأولى وهي التي سبقت في قوله: (وَبَدْرُ الْأُولَى).

والثانية: بدر الكبرى وهي البطشة الكبرى ويوم الفرقان وهي التي ذكرها الناظم هنا.

والثالثة: بدر الموعد وستأتي في حوادث السنة الرابعة إن شاء الله.

قال - رحمه الله تعالى -:

وَالصَّوْمُ فِي شَعْبَانَ، كُبْرَى بَدْرِ ٣٠ فِي رَمَضَانَ، وَزَكَاةُ الْفِطْرِ

مَوْتُ رُقَيْيَّةَ، وَعُرْسُ الطُّهْرِ ٣١ وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الْأَسْرِ

قَرَقَرُ، قَيْنَتَقَاعُ، وَالْعِيْدَانِ ٣٢ سَوِيْقُ، وَالْدُّعْثُورُ فِي غُطْفَانِ

عَقْدُ أُمَّ كُلْثُومَ عَلَى عُثْمَانَ فِي ٣٣ ثَالِثَةِ بَعْدَ رُقَيْيَّةَ، أَرْدِفِ

حَفْصَةَ، ثُمَّ الزَّيْنَبَيْنِ، أَحَدًا ٣٤ حَمْرَاءُ، حَمْزَةٌ فِي الْأُولَى اسْتُشْهِدَا

(كُبْرَى بَدْرِ فِي رَمَضَانَ) سبق في غزوة العشيرة أن النبي ﷺ خرج يعترض عيرًا لقريش عليها أبو

سفيان في ذهابها للشام لكنه لم يدركها، وهذه العير لما رجعت من الشام خرج النبي ﷺ

لملاقاتها فبلغ ذلك أبا سفيان فاستصرخ قريشًا في مكة، واستأجر رجلًا يقال له: ضَمْصَم

الغفاري؛ ليخبرهم بأن النبي ﷺ خرج للعير، فتجهزوا وخرجوا لملاقاة النبي ﷺ، أما أبو سفيان

فتحول بالعير عن الطريق ونجت العير ولم يدركها النبي ﷺ، لكنه ﷺ التقى بالمشركين في بدر،

وحصل القتال، والتحم الصفان، ومنَّ الله - سبحانه وتعالى - على المؤمنين بالنصر المبين،

وانهزم الكفار شر هزيمة.

وخلاصة ما حصل ما قاله أبو سفيان بن الحارث ابن عَمِّ النبي ﷺ - وكان يومئذ في صف

المشركين وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه رضي الله عنه - وقد سأله أبو لهب قال: يا ابن

أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ فقال أبو سفيان بن الحارث: والله ما هو إلا أن لَقِينَا الْقَوْمَ

فمنحناهم أكتافنا، يقودوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وإيمُ الله مع ذلك ما لُمتُ الناس، لَقِينَا رجالًا بِيضًا على خيل بُلِقَ بين السماء والأرض، والله ما تُليقُ شيئًا -أي ما تُبقي شيئًا- ولا يقوم لها شيء.

وكان أول قادم على مكة بمصاب قريش الحيسمانُ بنُ عبدِالله الخُزاعي فقالوا له: ما وراءك؟ فقال: قُتِلَ عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام -وهو أبو جهل-، وأمّية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البَخْتَرِي بن هشام...، فلما جعل يعدّد أشراف قريش قال صفوان بن أمّية وكان جالسًا في الحجر: والله إن يعقل هذا فسلوه عني. فقالوا: ما فعل صفوان بن أمّية؟ قال: هو ذاك جالسٌ في الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

وكان النبي ﷺ في ليلة القتال عيّن مصارع القوم، فكان يشير إلى المكان ويقول: "هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان" فما أخطأ أحدٌ منهم الموضع الذي عيّنه النبي ﷺ.

وغنم المسلمون في هذه المعركة غنائم عظيمة وكان ذلك يوم الفرقان كما سماه الله تعالى بذلك في القرآن؛ لأن الله سبحانه فرق فيه بين الحق والباطل وأعز المسلمين وأذل الكافرين وأصبحت للإسلام هيبة ورهبة في قلوب الأعداء، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ البطشة الكبرى هي غزوة بدر ﴿إِنَّا مُتَّقِمُونَ﴾ منهم لكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله ﷺ.

(وَزَكَاةُ الْفِطْرِ) أي وجبت زكاة عيد الفطر صاعًا من طعام، وكان ذلك في رمضان.

(مَوْتُ رُقِيَّة) بعد غزوة بدر أرسل النبي ﷺ بشيرين إلى المدينة يبشران بالفتح والنصر وهما عبدالله بن رواحة أرسله إلى أعالي المدينة، وزيد بن حارثة أرسله إلى السافلة. قال أسامة ابن زيد -رضي الله عنهما-: "فأتانا الخبر -أي خبر الفتح والنصر- حين سَوَّينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ" وقد كان عثمان بن عفان -رضي الله عنه- احتبس عندها بالمدينة يمرضها

بأمر من النبي ﷺ فلم يخرج إلى بدر، وقد قسم له النبي ﷺ من غنائم بدر فأعطي مثل أجر ومغنم من شهد بدرًا؛ لأنه تخلف عنها بأمر النبي ﷺ.

(وَعَرَسُ الطُّهْرِ) أي فاطمة الطاهرة - رضي الله عنها -، وقد تزوجها علي - رضي الله عنه - بعد بدر، ويشهد لكون زواج علي - رضي الله عنه - بفاطمة - رضي الله عنها - بعد بدر ما في الصحيحين أن عليًا - رضي الله عنه - قال: "أصبتُ شارقًا من نصيبي من المغنم يوم بدر" وذكر قصة إرادة ابتناؤه بفاطمة بنت النبي ﷺ.

(وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الْأَسْرِ) كان عمُّ النبي ﷺ العباس - رضي الله عنه - من جملة أسارى بدر، وذكر الناظم أنه أسلم بعد الأسر، وقيل: إنه أسلم قبل ذلك وجاء مع جيش المشركين مُكرهًا وكان يخفي إسلامه، روي في المسند أنه قال للنبي ﷺ: "إني كنت مسلمًا قبل ذلك وإنما استكرهوني" فقال له النبي ﷺ: "الله أعلم بشأنك فافد نفسك" روي هذا في المسند ولم يثبت. (قَزَقَر) هذه غزوة قَرْقَرَةَ الكُذْرُ ويقال لها: غزوة بني سُليم، وقد كانت بعد بدر بسبع ليالٍ، غزا النبي ﷺ بنفسه يريد بني سليم فبلغ ماءً من مياههم يقال له: الكُذْرُ، فأقام عليه ثلاث ليالٍ ثم رجع إلى المدينة ولم يلتق حربًا.

(قَيْنِقَاع) كان بالمدينة ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وكان النبي ﷺ قد صالحهم وحصلت بينه وبينهم معاهدة وكتبَ بذلك كتابٌ، لكنَّ كُلَّهُمْ نقضوا العهد وكان أولَّهُمْ نقضًا للعهد بنو قينقاع، فحاصرهم النبي ﷺ، وألقى الله - عز وجل - في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم النبي ﷺ، وكان أراد أن يقتل مقاتلتهم لكن شفع فيهم عبدُ الله بنُ أُبيِّ ابنِ سُلُولِ المنافق، وألحَّ على النبي ﷺ، فأمر النبي ﷺ أن يُجَلَّوْا ويُخَرَّجُوا من المدينة.

(والعيدان) هذا مشهور في كتب السير أن أولَ عيدٍ شُرِعَ هو عيد الفطر في السنة الثانية، وقد ثبت أن النبي ﷺ قدِمَ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: "ما هذان اليومان؟" قالوا: كنا نلعب

فيهما في الجاهلية. فقال النبي ﷺ: "إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر".

(سويق) لما هُزمت قريش في بدر نذر أبو سفيان ألا يغسل رأسه بالماء حتى ينتقم لقتلاه، فتجهز مع مئتي فارس، وجاؤوا إلى المدينة ونزل أبو سفيان عند سلام بن مشكم من اليهود، فسقاه وأطعمه وبطن له من خبر الناس، فلما أصبح حرق في أضوار من نخل في المدينة، -والأضوار جمع صوّر وهي جماعة النخل - وقتل رجلين رجلاً من الأنصار وحليفاً له، ثم فرّ هارباً وكأنه رأى أنه قد وفى بنذره، وكان أبو سفيان ومن معه وهم بالطريق فارين يلقون أزودتهم التي فيها السويق -والسويق دقيق الشعير المقلو ويكون من القمح أيضاً لكن الأكثر جعله من الشعير - ليتخففوا وليتمكنوا من الفرار من النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ لما قتل أبو سفيان ومن معه الرجلين علم بذلك فخرج في أصحابه يطلبهم ولم يدركوهم، لكن وجدوا أزوداً كثيرة ألقاها المشركون يتخففون منها وعامتها من السويق فسميت غزوة السويق لذلك.

(والدُعْثُورُ فِي غُظْفَانٍ) غزوة غُظْفَان، وتسمى أيضاً غزوة ذي أمّر، وهو ماء اجتمعت عليه غُظْفَان، وكانوا يريدون الإغارة على أطراف المدينة، فخرج إليهم النبي ﷺ تخويفاً وتشريداً لهم، فلما بلغهم مخرج النبي ﷺ إليهم هربوا إلى رؤوس الجبال ولم يلق النبي ﷺ كيذاً، هذه غزوة غُظْفَان، وأما الدعْثُور ففي كتب السيرة أن النبي ﷺ لما سار إلى غُظْفَان نزل هناك تحت شجرة، وكان قد أصابهم مطر كثير وابتلت ثياب النبي ﷺ، فنشر ثيابه لتجف، وذلك بمرأى من المشركين، واشتغل المسلمون بشؤونهم، فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له: دُعْثُورُ بن الحارث لقتل النبي ﷺ، فما شعر به النبي ﷺ إلا وهو قائم على رأسه بالسيف مشهوراً، فقال: من يمنعك مني يا محمد؟ فقال ﷺ: "الله" ودفع جبريل عليه السلام في صدره فوق السيف من يده فأخذه النبي ﷺ فقال له: "من يمنعك مني؟" قال: لا أحد، وأنا أشهد ألا إله إلا

الله وأن محمداً رسول الله وألا أكثر عليك جمعاً أبداً، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، فلما رجع الرجل إلى أصحابه قالوا: ويلك مالك؟ فقال: نظرت إلى رجل طويل فدفع في صدري، فوقع لظهري، فعرفت أنه ملك أن محمداً رسول الله والله لا أكثر عليه جمعاً، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنُ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

(عَقْدُ أُمِّ كُلْثُومَ عَلَى عُثْمَانَ فِي ثَالِثَةِ بَعْدَ رُقِيَّةَ) سبق أن وفاة رقية -رضي الله عنها- كانت بعد بدر في السنة الثانية، وفي السنة الثالثة زَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ عثمان ابنته أُمَّ كُلْثُومَ، ولهذا كان يلقب بذي النورين، ولم يحصل هذا الشرف لأحد غير عثمان -رضي الله عنه- أن يتزوج ابنتي نبي، وهذا من كرم النبي صلى الله عليه وسلم.

(ارْدِفْ حَفْصَةَ) حفصة بنت عمر بن الخطاب -رضي الله عنها وعن أبيها- كانت قد تأيمت من زوجها خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه، مات عنها بالمدينة فتزوجها النبي ﷺ، وكان عمر -رضي الله عنه- بعد موت زوجها عنها ذهب إلى عثمان -رضي الله عنه- وعرضها عليه فقال عثمان: سأنظر في أمري فلبث ليالي ثم لقي عمر، فقال: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، قال عمر: فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فلم يرجع إليَّ شيئاً، وكنت أَوْجَدَ عليه منِّي على عثمان، فلبث ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: فقلت: نعم قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأُفْشِيَ سِرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ لقبلتها".

(ثُمَّ الرَّيْبَيْنِ) الزينبان هما زينب بنت خزيمة وزينب بنت جحش، لكن كانت بينهما أم سلمة رضي الله عنهن.

بعد زواج النبي ﷺ بحفصة تزوج زينب بنت خزيمة الهلالية التي يقال لها: أم المساكين لشفقتها .٣٣

ولم تبق زينب بنت خزيمة عند النبي ﷺ إلا شهرين أو ثلاثة أشهر ثم ماتت لكن انظر كيف كانت هذه المدة اليسيرة من حياتها سبباً لأن تكون مع النبي ﷺ خالدة في الجنة!

بعد وفاة زينب بنت خزيمة تزوج النبي ﷺ أم سلمة بنت أبي أمية، وهي ممن أسلم قديماً هي وزوجها أبو سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة وهاجرا إلى الحبشة، فولدت له سلمة، ثم قديماً إلى مكة وهاجرا إلى المدينة، وهاجرت بعده، وكان زوجها قد أصيب بجراح في غزوة أحد فعالجها حتى برئت ثم انتقض جرحه بعد ذلك في السنة الرابعة. وأبو سلمة هو أخو النبي ﷺ من الرضاع، فقالت -رضي الله عنها-: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم اؤجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها" قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ.

تزوج النبي ﷺ زينب بنت خزيمة -رضي الله عنها- ثم إنها توفيت فتزوج بعدها أم سلمة -رضي الله عنها- ويروى أن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: "تزوجني النبي ﷺ فنقلني إلى بيت زينب بنت خزيمة أم المساكين بعد أن مات" ثم بعد ذلك تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش، ونزلت بسببها آية الحجاب، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾.

وفي الصحيح عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال: إن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول لهن: **"زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات"** وكانت زينب بنت جحش أول نساءه ﷺ لحوقاً به، في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **"أسرعن لحاقاً بي أطولكن يداً"** قالت: فكن يتناولن أيتهن أطول يداً - حملته على المعنى الحسي - قالت: فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق فلم تكن هي أطولهن يداً حساً لكن لما كانت أول نساءه ﷺ لحوقاً به علمن أن معنى الحديث: طول اليد في الإنفاق والصدقة.

وقرر ابن القيم وابن كثير أن زواجه ﷺ بزينب بنت جحش - رضي الله عنها - كان في السنة الخامسة، وقد اختلف أهل السير هل كان زواجه بها في السنة الثالثة أو الرابعة أو الخامسة؟ لم يختلفوا أن آية الحجاب نزلت صبيحة دخوله ﷺ بها، لكن اختلفوا في السنة التي تزوجها فيها النبي ﷺ، ورجح ابن القيم وابن كثير أنه كان في السنة الخامسة، إذا قوله: **(حَفْصَةُ ثُمَّ الزَّيْنَبُ)** يفتقر إلى بيان فقد تزوج حفصة ثم تزوج زينب بنت خزيمة ثم ماتت ثم تزوج أم سلمة ثم بعد ذلك تزوج زينب بنت جحش رضي الله عنهن.

قال - رحمه الله تعالى -:

حَفْصَةُ، ثُمَّ الزَّيْنَبُ، أَحَدَا ٣٤ حَمْرَاءُ، حَمْرَةٌ فِي الْأَوَّلَى اسْتَشْهَدَا

وَحُرْمَةُ الْخَمْرِ، وَمَوْلِدُ الْحَسَنِ ٣٥ وَزَيْنَبًا بِنْتَ خُرَيْمَةٍ دَفَنُ

فِي أَرْبَعِ نِكَاحٍ أُمَّ سَلَمَةَ ٣٦ بَنُو النَّضِيرِ، بَدْرٌ، اخْرَابُ الْعَمَةِ

قُرَيْظٌ، قَصْرٌ، مَوْلِدُ الْحُسَيْنِ ٣٧ تَيْمٌ، رَجْمُ الْيَهُودِيِّينِ

حِجَابٌ، حَجٌّ، دُومَةٌ، وَالتَّالِيَةُ ٣٨ مُصْطَلِقٌ، أَفْكٌ، اضْطِفَا جُؤَيْرِيَةَ

(أُحَدَا) في شهر شوال من السنة الثالثة كانت تلك الوقعة العظيمة التي امتحن الله تعالى فيها عباده المؤمنين وهي غزوة أحد، وكان الظهور أول الأمر للمسلمين ثم حصلت مخالفة بعض الرماة الذين جعلهم النبي ﷺ على جبل عنين - المعروف بجبل الرماة، وهو جبل صغير بجانب جبل أحد - وأمرهم النبي ﷺ ألا يبرحوا مكانهم، لكن خالف بعض الرماة فنزلوا فدارت الدائرة على المسلمين، واستشهد فيها من المسلمين نحو السبعين منهم سيد الشهداء حمزة ابن عبدالمطلب - رضي الله عنه -، وفيها جرح رسول الله ﷺ في وجهه وكُسِرَت رِباعِيَّتُهُ وهُشِّمَتِ البِيضَةُ على رأسه ﷺ، وكان مما نزل من القرآن في يوم أحد ثمان وخمسون آية من آل عمران من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الآية.

ومن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم أن يُدَالُوا مرة ويُدَال عليهم أخرى لكن تكون العاقبة لهم، لأنهم لو انتصروا دائماً لدخل مع المؤمنين غيرهم، ولم يتميز الصادق من غيره قال تعالى: ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ ثم إن الله تعالى أراد أن يكرم من شاء من عباده بالشهادة كما قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ قد تكلم ابن القيم في زاد المعاد في كلامه عن غزوة أحد عن الحكمة مما يُجْرِيهِ الله تعالى على أوليائه من البلاء في كلام جميل يحسن الرجوع إليه.

(حَمَرَاءُ) بلغ رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد أن أبا سفيان ومن معه يريدون أن يرجعوا فيستأصلوا المسلمين، فندب الصحابة إلى النهوض في طلب العدو على ما بهم من الجراح فاستجابوا لله والرسول وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فنهضوا حتى بلغوا حمراء الأسد لذا سميت هذه الغزوة

غزوة حمراء الأسد، فلما سمع أبو سفيان بخروج النبي ﷺ والصحابة - رضي الله عنهم - إليهم رجع بجيشه إلى مكة.

(حَمْزَةٌ فِي الْأُولَى اسْتُشْهِدَا) أي في غزوة أحد.

(وَحُرْمَةُ الْخَمْرِ) حُرِّمَتِ الْخَمْرُ حين نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وكان ذلك في السنة الثالثة من الهجرة على ما ذكره الناظم، وقيل: كان ذلك في السنة الرابعة ليالي غزوة بني النضير، وقيل: كان في السنة الثامنة في فتح مكة، ورجح هذا الأخير الحافظ ابن حَجَرٍ في الفتح أن تحريم الخمر كان في الثامنة في فتح مكة.

(وَمَوْلِدُ الْحَسَنِ) كانت ولادة الحسن بن علي - رضي الله عنهما - سبط رسول الله ﷺ وريحانته في هذه السنة في السنة الثالثة من الهجرة في رمضان عند الجمهور.

(وَزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ دَفَنَ) زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، وقد تقدم ذكرها عند قوله: (ثُمَّ الزَّيْنَبِينَ) لم تلبث زينب بنت خزيمة - رضي الله عنها - عنده إلا شهرين أو ثلاثة ثم ماتت. (فِي أَرْبَعِ نِكَاحٍ أُمُّ سَلَمَةَ) كان نكاح أم سلمة بعد نكاح زينب بنت خزيمة وقبل نكاح زينب بنت جحش كما سبق واسم أم سلمة: هند بنت أبي أمية المخزومية.

(بَنُو النَّضِيرِ) المشهور عند أهل السَّيْرِ في سبب غزوة بني النضير أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قَتَلَ رجلين لهما عهد من النبي ﷺ ولم يكن يعلم بذلك، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: "لَا دِينَ لَهُمَا" فخرج ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وطائفة من أصحابه - رضي الله عنهم - إلى يهود بني النضير ليعينوه في ديتهم ما بينهم وبينه من العهد فقالوا: نعم فاجتمع اليهود والنبي ﷺ جالس عندهم وتشاوروا وقالوا: من رجل يلقي على محمد هذه الرحى فيقتله؟ فانبعث أشقاها عمرو ابن جَحَّاش، ونزل جبريل من عند رب العالمين على رسوله ﷺ فأعلمهم بما همُّوا به فنهض

ﷺ من وقته راجعاً إلى المدينة، ثم تجهز لقتالهم؛ لأن هذا نقض للعهد وخيانة للنبي ﷺ، فخرج بنفسه لقتالهم، وحاصرهم ست ليال، فقذف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يُجْلِيَهُمْ وَيَكْفَ عَنْ دِمَائِهِمْ عَلَى أَنْ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا السِّلَاحَ، ففعل ﷺ، وقد نزلت فيهم سورة من القرآن هي سورة الحشر وتسمى سورة بني النضير، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾.

(بَدْر) هذه بدر الموعد، سبق أن الغزوات التي تسمى ببدر ثلاث غزوات:

بدر الأولى وتسمى الصغرى وهي التي كانت في إثر كرز بن جابر الفهري وكانت في السنة الثانية. وبدر الكبرى وهي يوم الفرقان وكانت أيضاً في السنة الثانية.

وبدر الآخرة وهي التي يقال لها: بدر الموعد وكانت في السنة الرابعة، وقيل لها: بدر الموعد؛ لأنه لما انصرف أبو سفيان ومن معه من غزوة أحد نادى فقال: "موعدكم بدر من العام القابل" فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: "قل: نعم هو بيننا وبينك موعد" وذهب النبي ﷺ في الموعد إلى بدر وبقي ثمان ليالٍ، وخرج كفار قريش من مكة بقيادة أبي سفيان حتى نزلوا مَجَنَّةَ من ناحية الظَّهْرَانِ، ثم بدا له الرجوع فقال: "يا معشر قريش أنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن فإن عامكم هذا مجذب وإني راجع فارجعوا فرجع المشركون".

(بَدْرُ أَحْزَابِ الْعَمَةِ) العمة: هو العمى عن الرُّشد.

بعد بدر الموعد غزوة الأحزاب، سميت غزوة الأحزاب؛ لاجتماع أحزاب متفرقة على حرب المسلمين وهم قريش وغطفان ويهود، وتسمى غزوة الخندق؛ لأن النبي ﷺ أمر بحفر الخندق

حول المدينة بإشارة سلمان الفارسي فإن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال للنبي ﷺ: "كُنَّا إِذَا خِفْنَا خَنْدُقَنَا" فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حتى إن قريشاً لما جاءت قالت: "إنها لمكيدة ما عرفتُها العرب".

وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - شيئاً من خبر غزوة الخندق في صدر سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ وأظهر المنافقون ما كانوا يبطنونه من النفاق ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ الآيات، ونقض بنو قريظة العهد فعظم الأمر على المسلمين، وقد هزم الله الأحزاب وحده كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ فرجعوا على أعقابهم. قيل: إن غزوة الأحزاب كانت في السنة الرابعة كما ذكر الناظم هنا، وقيل: كانت في السنة الخامسة وهو الذي صححه ابن القيم وابن كثير.

(قُرَيْظُ) ثم غزا ﷺ بني قريظة؛ لأنهم نقضوا العهد كما سبق.

لما رد الله تعالى كفار قريش وغطفان ومن معهم بغیظهم لم ينالوا خيراً فرغ رسول الله ﷺ لبني قريظة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْثُوهَا﴾ يعني خيبر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار فقال: وضعت السلاح فوالله ما وضعت

فقال رسول الله ﷺ: **"فأين؟"** قال: هاهنا وأوماً إلى بني قريظة، قالت رضي الله عنها: فخرج إليهم رسول الله ﷺ.

وفي الصحيحين عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: **"لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"** فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي لم يُرد منا ذلك. فذكر للنبي ﷺ فلم يُعَنَّفَ واحداً منهم.

مسألة: الجميع مجتهد ومأجور لكن حكم الله تعالى واحد لا يتعدد فمع من كان الصواب مع من صلاها في الطريق أو مع من صلاها في قريظة بعد خروج الوقت؟

الجواب: قرر ابن القيم في زاد المعاد أن الصواب مع من صلاها في وقتها في الطريق؛ لأنهم فهموا أن مقصود النبي ﷺ هو المبادرة إلى امتثال أمره بالخروج وقد فعلوا، أما وقت الصلاة ففيه النصوص الصريحة وأن من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله ومن فاتته صلاة العصر فكأنما وُتِرَ أهله وماله وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ وهو الذي رجحه ابن كثير في كتاب الفصول في سيرة الرسول ﷺ، يوضح ذلك أن عدم جواز تأخير الصلاة عن وقتها محكم لا احتمال فيه ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ وحديث: **"لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"** يحتمل أن المعنى الأمر بالمبادرة والحث على الإسراع، ويحتمل النهي عن صلاة العصر قبل الوصول إلى بني قريظة، وإذا كان عندنا محكم ومحتمل فإننا نعمل بالمحكم.

والذي يتخرج على ظاهرية ابن حزم -رحمه الله تعالى- أن يقول: إن الصواب مع من صلى في بني قريظة وقد نص على ذلك فقال في كتابه جوامع السيرة: "وعلم الله تعالى أننا لو كنا هناك ما صلينا العصر في ذلك اليوم إلا في بني قريظة ولو بعد أيام".

ونقض قبائل اليهود للعهد كان بعد المعارك الكبار التي دارت بين النبي ﷺ والمشركين، بنو قينقاع بعد غزوة بدر، وبنو النضير بعد غزوة أحد، وبنو قريظة بعد غزوة الأحزاب.

(قَصْرٌ) قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وتعيين سنة دون غيرها في قصر الصلاة في السفر لم يثبت فيه شيء، والذي ذكره الناظم أن القصر شرع في السنة الرابعة.

(مَوْلِدُ الْحُسَيْنِ) في هذه السنة الرابعة كانت ولادة الحسين بن علي - رضي الله عنهما - سبط رسول الله ﷺ وريحانته.

(تَيْمَمٌ) سبب نزول آية التيمم ضياع عقد عائشة - رضي الله عنها - في بعض الغزوات. وقد ذكر الناظم أن مشروعية التيمم كانت في هذه السنة، وقيل: بل كانت بعد ذلك في إثر غزوة بني المصطلق التي سيذكرها الناظم في حوادث السنة الخامسة.

(رَجْمُ الْيَهُودِيِّينَ) قصة رجم اليهوديين ثابتة في الصحيحين دون تعيين التاريخ، وقال كثير من أهل السير: إنها كانت في السنة الرابعة.

في الصحيحين عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ أتى بيهوديٍّ ويهوديةٍ قد زنياً فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يهود فقال: "ما تجدون في التوراة على من زنى؟" قالوا: نُسَوْدُ وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما قال: "فأتوا بالتوراة فاتلواها إن كنتم صادقين" فجاءوا بها فقرؤوها حتى إذا مرُّوا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها فقال له عبدالله بن سلام وهو مع رسول الله ﷺ: مره فليرفع يده فرفعها فإذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما. قال عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما -: كنت في من رجمهما.

قال - رحمه الله تعالى -:

حِجَابُ، حَجٌّ، دُومَةٌ، وَالتَّالِيَةُ ٣٨ مُصْطَلَقٌ، أَفْكٌ، اصْطِفَا جُؤَيْرِيَّةَ
 غَابَةً فِي السَّتِّ، بَنُو لَحْيَانِ ٣٩ وَالصَّدُّ، ثُمَّ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ
 ظَهَارُ، الْإِسْتِسْقَا، الْخُسُوفُ عُرِفَا ٤٠ فِي السَّبْعِ خَيْرٌ، وَسَمٌّ، وَاصْطَفَى
 صَفِيَّةً، وَأَمَّ حَبِيبَةَ نَقَّذَ ٤١ عَنْهَا النَّجَاشِي مَهْرَهَا مَعَهَا، وَرَدَّ
 مَنْ قَدْ بَقِيَ، فِي عُمْرَةِ الْقُضَا نَكَحَ ٤٢ مَيْمُونَةَ وَذَاكَ فِي الْإِحْرَامِ صَحَّ

لا يزال الناظم -رحمه الله- يذكر حوادث السنة الرابعة.

(حِجَابُ) لا خلاف أن الأمر بالحجاب نزل صبيحة دخوله بزينب بنت جحش -رضي الله عنها- وفي وقت دخوله بها خلاف، قيل: إنه كان في السنة الثالثة، وقيل: في الرابعة، وقيل: في الخامسة، وقد تقدم أن ابن القيم وابن كثير قررا أنه كان في السنة الخامسة.

(حَجٌّ) في السنة الرابعة على ما ذكره الناظم فَرَضَ الْحَجَّ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، واختلف في سنة فرض الحج من السنة الرابعة إلى العاشرة، كُلُّ ذَلِكَ قِيلَ بِهِ، والقول بأنه كان في سنة تسع نَمَاهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ إِلَى الْأَكْثَرِ، ويدل له أن قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ نزل لما قدم وفد نجران، وكان قدومهم سنة تسع، وقيل: فَرَضَ الْحَجَّ سَنَةَ سِتٍّ، وقال به كثير من العلماء؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ نزل بالحديبية باتفاق، وكانت الحديبية سنة ست، وأجاب الأولون: بأنه ليس فيها فرض الحج، وإنما فيها الأمر بإتمامه، والأمر بالإتمام لا يستلزم وجوب الابتداء.

(دُومَةٌ) دُومَةُ الْجَنْدَلِ مَعْرُوفَةٌ إِلَى الْيَوْمِ بِهَذَا الْأَسْمِ فِي مَنَاطِقِ الْجَوْفِ، وَكَانَ يَعْرِضُ فِيهَا الظُّلْمَةُ لِلَّذِينَ يَقْدَمُونَ مِنَ الشَّامِ بِتِجَارَتِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَصَدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فِي سَوْقِهِمْ، فَلَمَّا تَسَامَعُوا

بقدومه ﷺ تفرقوا، فلما ورد النبي ﷺ موضعهم لم يلق أحداً، ورجع بعد أن أقام بها أياماً لم يكن فيها قتال.

(وَالتَّالِيَةَ) أي السنة الخامسة (مُصْطَلِق) بنو المصطلق بطنٌ من خزاعة، وهذه الغزوة تسمى غزوة بني المصطلق نسبةً إليهم، وتسمى غزوة المريسي نسبةً إلى ماء لهم هناك يقال له: المريسي، وقد لقيهم النبي ﷺ على هذا الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم.

(مُصْطَلِقُ أَفْك) الإفك: هو الكذب الفاحش الذي خاض فيه المنافقون في عرض الصديقة الطاهرة عائشة - رضي الله عنها وعن من ترضى عنها - فبرأها الله بآيات تتلى في كتابه في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وقد أجمع العلماء على كفر من رماها بما برأها الله منه ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وكان ذلك في قفولهم من غزوة بني المصطلق.

(أَصْطِفَا جُوَيْرِيَةَ) جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث أم المؤمنين - رضي الله عنها - كانت من سبي بني المصطلق، وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبتها على نفسها أي تدفع مالاً مُنْجَماً وتعتق، ففضى رسول الله ﷺ كتابتها وتزوجها فأعتق بتزوجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق إكراماً لصهر رسول الله ﷺ حتى قالت عائشة - رضي الله عنها -: "ما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها".

(غَابَةُ فِي السَّتِّ) غزوة الغابة وتسمى غزوة ذي قَرْد ذكر الناظم أنها كانت سنة ست، والذي رجحه ابن القيم وابن حجر أنها كانت قبل خيبر بثلاث ليال أي بعد الحديبية، وقد جزم بهذا البخاري، وأما أصحاب المغازي فيذكرون أنها كانت قبل الحديبية، وكونها بعد الحديبية أصح

لما في صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه- أنهم رجعوا إلى المدينة بعد غزوة ذي قرد قال: **"فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليالٍ حتى خرجنا إلى خير"**.

وكان من خبر هذه الغزوة أن عيينة بن حصن الفزاري أغار مع جماعة من قومه على لقاح النبي ﷺ التي بالغابة فاستاقها وقتل راعيها وهو رجل من غفار وأخذوا امرأته فكان أول من نذر بهم -أي علم بهم- سلمة بن الأكوع الأسلمي -رضي الله عنه- ثم انبعث في طلبهم ماشياً وكان لا يسبق فجعل يرميهم بالنبل ويقول:

**خُذْهَا أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ
وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ**

أي اللثام، واسترجع عامّة ما كان في أيديهم، ولما وقع الصريخ في المدينة خرج النبي ﷺ في جماعة من الفرسان فلحقوا سلمة بن الأكوع واسترجعوا اللقاح، وبلغ النبي ﷺ ماءً هناك يقال له: ذو قرد، فنحر لِقْحَةً مما استرجع -واللّقْحَةُ (بكسر اللام وتُفْتَحُ): هي الناقة ذات اللبن قريبة العهد بالولادة- وأقام هناك يوماً وليلاً ثم رجع إلى المدينة ولذا سميت غزوة ذي قرد.

(بَنُو لَحِيَانٍ) غزا النبي ﷺ بني لحيان، وكانت هذه الغزوة ليأخذ بثأر بعث الرجيع، وبعث الرجيع: عشرة من الصحابة بعثهم النبي ﷺ عيناً، كان عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، فسمع بهم بنو لحيان من هذيل، وكانوا قريباً من مئة رجل، فقتلوا من قتلوا من الصحابة، وأسرُوا من أسرُوا، وباعوا خبيئاً وزيد بن الدثنة -رضي الله عنهما- لقريش، وقد كان خروج النبي ﷺ في غزوة بني لحيان ليأخذ بثأر بعث الرجيع، فتحصنوا في رؤوس الجبال، فتركهم النبي ﷺ ورجع ولم يكن قتال.

(وَالصَّدُّ) أي صدّ النبي ﷺ عن عمرته.

خرج النبي ﷺ إلى مكة معتمرًا في السنة السادسة في ألف وبيّف من أصحابه -رضي الله عنهم- فصدتهم قريش عن دخول مكة، وحصل الصلح بين النبي ﷺ وبين كفار قريش على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، وعلى أن من أتى رسول الله ﷺ مسلمًا بغير إذن وليه رده، ومن أتى قريشًا لم يرُدُّوه، وعلى أن من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة ودخلت في حلف نبينا ﷺ وتواثبت بنو بكر ودخلت في حلف قريش، وعلى أن يرجع عامه هذا فإذا كان العام القابل دخل بسلاح الراكب السيوف في القُرب.

وكان هذا الصلح فتحًا مبينًا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ فمن أول الإسلام إلى صلح الحديبية هذه تسع عشرة سنة وقد كان عدد المسلمين في الصلح ألفًا وثلاث مئة أو ألفًا وأربع مئة أو ألفًا وخمس مئة وكلها في الصحيحين أي كان عددهم بين هذه الأعداد على جهة التقريب ثم بعد سنة ونصف فقط فتحت مكة وكانوا عشرة آلاف وهذا يدل على أهمية الأمان في الدعوة إلى الله وأن الإخلاق بالبلد يرجع بالدعوة إلى الوراثة سنوات.

(ثُمَّ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ) بعث النبي ﷺ عثمان -رضي الله عنه- إلى مكة للتفاوض مع المشركين في أمر عمرته ﷺ، ونُقِلَ إلى المسلمين أن عثمان -رضي الله عنه- قد قُتِلَ، ولم ينزل وحي بتكذيب هذه الإشاعة حتى تتم هذه البيعة التي رضي الله عن أهلها وزكى قلوبهم فبايع النبي ﷺ الصحابة الكرام على القتال، وتسمى هذه البيعة بيعة الرضوان قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وبعد البيعة خرج عليهم عثمان رضي الله عنه.

(ظَهَار) ذكر الناظم -رحمه الله- أن في هذه السنة ظاهر أوس بن الصامت -رضي الله عنه- من زوجته خولة بنت ثعلبة -رضي الله عنها-، وفيها وفي زوجها لما قال لها: أنت عليّ كظهر أمي

أنزل الله تعالى صدر سورة المجادلة ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ الآيات.

(الاستسقا) استسقى النبي ﷺ في بعض غزواته لما سبقه المشركون إلى الماء فأصاب المسلمين عطش شديد فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، وقال بعض المنافقين: لو كان نبياً لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: "أوقد قالوها؟ عسى ربكم أن يسقيكم" ثم بسط يديه ودعا فما ردَّ يديه ﷺ من دعائه حتى أظلم السحاب وأمطروا فأفعم السيل الوادي فشرب الناس وارتووا.

هذا الخبر مشهور في كتب السيرة لكن ليس في خبر استسقاؤه ﷺ تعيين السنة ولا تعيين الغزوة وذكر الناظم تبعاً لجماعة من نقله السيرة أنها كانت في السنة السادسة ويذكر أهل السير أنها كانت في رمضان.

(الخسوف) جزم مغلطاي في سيرته المختصرة بخسوف القمر، وأن النبي ﷺ صلى صلاة خسوف القمر، ولم يثبت ذلك في خبر مرفوع، لكن ذكره بعض من كتب في السيرة. وفي المسند للشافعي عن الحسن البصري أنه قال: خسف القمر وابن عباس رضي الله عنهما - أميراً على البصرة، فخرج فصلى بنا ركعتين في كل ركعة ركعتين، ثم ركب وقال: "إنما صليت كما رأيت النبي ﷺ يصلي" لكن هذا الخبر لم يثبت، ثم هو ليس نصاً في أن النبي ﷺ صلى في خسوف القمر، وأما صلاته ﷺ لكسوف الشمس فثبت في الصحيحين.

(في السبع خيبر) في السنة السابعة من الهجرة كان فتح خيبر.

لما رجع النبي ﷺ إلى المدينة بعد صلح الحديبية مكث بالمدينة عشرين ليلة أو قريباً من ذلك ثم خرج غازياً إلى خيبر، وكانت خيبر مجمعة لبقايا من أجلوا من المدينة، وكان فيها كبراء بني النضير، وقد نصره الله عليهم. وفي سورة الأحزاب بشرى بفتح خيبر في قوله تعالى: ﴿وَأُورَثَكُمْ

أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا ﴿﴾ هي أرض خيبر وفي سورة الفتح أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ هذه إشارة إلى مغنم خيبر.

وقد حصل خبر لطيف بعد فتح خيبر للحجاج بن علاط - رضي الله عنه - وذلك أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أهلا، وإني أريد أن آتيهم فأنا في حلٍّ إن أنا نلت منك أو قلت شيئا؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء، فرجع إلى مكة، وأهل مكة لا يعرفون شيئا من أمر إسلامه، فأتى امرأته حين قدم فقال: اجمعي لي ما كان عندك؛ فإني أريد أن اشتري من غنائم محمد ﷺ وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأُصيبت أموالهم، ففشا ذلك بمكة فانقمع المسلمون، وأظهر المشركون فرحا وسرورا، وبلغ الخبر العباس عم النبي ﷺ فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوم، ثم أرسل غلاما إلى الحجاج بن علاط فقال له: ويلك ما جئت به وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به، قال الحجاج بن علاط لغلام العباس: اقرأ على أبي الفضل السلام، وقل له فليخل لي في بعض بيوته لآتيه، فإن الخبر على ما يسره، فجاء غلامه فلما بلغ باب الدار قال: أبشر يا أبا الفضل، فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه، فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه، ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر، وغنم أموالهم وجرت سهام الله عز وجل في أموالهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي فأتخذها لنفسه وأخبره الخبر، قال: ولكنني جئت لمالٍ كان لي هنا أردت أن أجمعه فأذهب به، فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لي أن أقول ما شئت، فأخف عني ثلاثا ثم اذكر لقريش ما بدا لك، فجمع الحجاج ابن علاط أمواله، فلما خرج إلى النبي ﷺ أخبر العباس أهل مكة بالخبر، فرد الله ما كان بالمسلمين من حزن على المشركين.

(وَسَمَّ) بعد فتح خيبر أهدت امرأة من اليهود للنبي ﷺ شاة وضعت فيها السم والخبر في الصحيحين وأكل منها النبي ﷺ.

وفي البخاري معلقاً أن النبي ﷺ كان يقول في مرضه الذي مات فيه: "يا عائشة ما زلتُ أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهري من ذلك السم".
قال الناظم:

وَالْمُصْطَفَى مَنْ سَادَ كُلَّ السَّادَةِ ضَمَّ إِلَى النُّبُوَّةِ الشَّهَادَةَ

(وَاصْطَفَى صَفِيَّةً) اصطفى النبي ﷺ صفيّة بنت حُيِّ لنفسه من سبايا خيبر وأسلمت فأعتقها النبي ﷺ وجعل عتقها صداقها.

(وَأَمَّ حَبِيبَةَ نَقْدَ عَنْهَا النَّجَاشِيُّ مَهْرَهَا مَعَهَا) أُمُّ حَبِيبَةَ هي رملة بنتُ أبي سفيانَ صخر بن حرب، كان زواج النبي ﷺ بها قبل صفيّة، وقد نقد مهرها النجاشي؛ لأنها كانت في بلاد الحبشة، وكان مهرها أربع مئة دينار.

(وَرَدَ مَنْ قَدْ بَقِيَ) رَدَّ النَّجَاشِيُّ من كان بقي من المهاجرين في الحبشة وهم جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وقد قال النبي ﷺ لجعفر -رضي الله عنه-: "ما أدري أنا بقدوم جعفر أَسَرَّ أو بفتح خيبر".

(فِي عُمْرَةِ الْقَضَا نَكَحَ مَيْمُونَةَ) لما رجع النبي ﷺ إلى المدينة من خيبر أقام بها إلى شهر ذي القعدة، ثم خرج في هذا الشهر معتمراً عمرة القضاء التي قاضى قريشاً عليها فسار حتى بلغ مكة فاعتمر.

وميمونة -رضي الله عنها- هي آخر من تزوج النبي ﷺ من النساء، تزوجها بمكة في عمرة القضاء بعد أن حلَّ منها على الصحيح، قال الناظم: (وَذَاكَ فِي الْإِحْرَامِ صَح) اختار الناظم -رحمه الله- أن النبي ﷺ نكح ميمونة وهو محرم ودليله ما في الصحيحين عن ابن عباس -رضي الله عنهما- "أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم" لكن في صحيح مسلم عن ميمونة -رضي الله عنها- نفسها "أن النبي ﷺ تزوجها وهو حلال" وهذا الذي عليه جمهور العلماء، ولهم عن

حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أجوبة أصحابها أنه معدود من أغلاط الثقات، وقد ورد عن أبي رافع - رضي الله عنه - "أنه **ﷺ تزوجها وهو حلال**" قال: وكنت الرسول بينهما. إذا ميمونة - رضي الله عنها - صاحبة القصة وأبو رافع - رضي الله عنه - الذي كان الرسول بينهما يقولان: إن النبي **ﷺ** تزوجها وهو حلال، فيقدم قولهما على قول ابن عباس - رضي الله عنهما - خصوصاً أنه وقتها كان دون سن البلوغ.

قال - رحمه الله تعالى -:

أَهْدَى لَهُ مَارِيَةَ الْمُقَوْقِسُ ٤٣ وَأَرْسَلَ الرَّسُلَ، فَلَمْ يَبْتَسُوا

وَفِي الثَّمَانِ: مُؤْتَةً، وَالْمَنْبَرُ ٤٤ فَتَحَ، حُنَيْنٌ، طَائِفٌ، وَهَجَرُ

تَبُوكُ فِي التَّسْعِ، وَمَوْتُ أَصْحَمَةَ ٤٥ وَابْنِ أَبِي، إِيلَا، لِعَانَ أُعْلِمَهُ

مَاتَ ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَاشِرِ عَنْ ٤٦ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ شَهْرًا زَفَعَنَ

(أَهْدَى لَهُ مَارِيَةَ الْمُقَوْقِسُ) في المحرم من السنة السابعة أُهْدِيَتْ مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّةُ لِلنَّبِيِّ **ﷺ**، أَهْدَاهَا لَهُ الْمُقَوْقِسُ مَلِكُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَلَمْ تَكُنْ مِنْ زَوْجَاتِهِ **ﷺ** بَلْ كَانَتْ مِلْكَ يَمِينٍ، وَقَدْ وَلَدَتْ لِلنَّبِيِّ **ﷺ** ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ.

(وَأَرْسَلَ الرَّسُلَ فَلَمْ يَبْتَسُوا) في السنة السابعة أَرْسَلَ **ﷺ** الرَّسُلَ إِلَى الْمُلُوكِ، بَعَثَ **ﷺ** عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ، كُلُّ مِنْهُمْ بَكْتَابٌ إِلَى مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ، فَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةِ الضَّمْرِي إِلَى النَجَاشِيِّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ حِذَافَةَ السَّهْمِيِّ إِلَى كَسْرَى، وَحَاطَبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ، وَدَحِيَّةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، وَآخَرِينَ غَيْرَهُمْ.

قال في قرة الأبصار في سيرة المشفع المختار **ﷺ** مَبِينًا رُسُلَ النَّبِيِّ **ﷺ** إِلَى الْمُلُوكِ:

بَيَانُ رُسُلِ الْمُصْطَفَى لِمَنْ مَلَكَ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا دَارَ الْفَلَكَ

إِلَى النَّجَاشِيِّ النَّبِيِّ أَرْسَلَا
وَمَاتَ مُسْلِمًا وَصَلَّى الْمُصْطَفَى
وَدُخِيَّةً إِلَى هِرْقَلٍ أَرْسَلَا
كَيْسَرِي فَمَزَّقَ الْكِتَابَ مُزَّقَا
فَقَارَبَ الْإِسْلَامَ حَتَّى أَهْدَى
ثُمَّ إِلَى مَنْ مَلَكَا عُمانَا
وَلِلْيَمَامَةِ سَلِيطًا أَرْسَلَا
مِنَ النَّبِيِّ جَعَلَ بَعْضُ الْأَمْرِ لَهُ
وَأَرْسَلَ الْعَلَا إِلَى الْبَحْرَيْنِ
وَالْأَشْعَرِيِّ وَمُعَاذًا لِلْيَمَنِ
عَمْرًا فَبَجَلَ الْكِتَابَ وَتَلَا
عَلَيْهِ مَعَ أَصْحَابِهِ أُولِيَ الصِّفَا
فَشَحَّ ثُمَّ ابْنُ حُدَافَةَ إِلَى
وَحَاطِبٍ إِلَى الْمُقَوْقِسِ ارْتَقَا
جَارِيَتَيْنِ دُلْدُلًا وَعَبْدَا
عَمْرًا فَأَسْلَمَا لَهُ وَدَانَا
فَلَمْ يَفْزُ صَاحِبُهَا إِذْ سَأَلَا
ثُمَّ إِلَى الْبَلْقَا شُجَاعًا أَرْسَلَهُ
فَأَسْلَمَ الْمُنْذِرُ دُونَ مَيْنِ
فَأَسْلَمُوا دُونَ قِتَالٍ وَفَتَنُ

قوله: (حَتَّى أَهْدَى جَارِيَتَيْنِ دُلْدُلًا وَعَبْدًا) أهدى المقوقس للنبي ﷺ جاريتين إحداهما مارية القبطية والأخرى أختها سيرين أعطاها النبي ﷺ حسان بن ثابت فولدت له ابنة عبد الرحمن، وبغلة اسمها دُلْدُل وعبدًا اسمه مابور.

وقوله: (وَأَرْسَلَ الْعَلَا) هو العلاء بن الحضرمي (إِلَى الْبَحْرَيْنِ فَأَسْلَمَ الْمُنْذِرُ دُونَ مَيْنِ) هو المنذر بن ساوى ملك البحرين

وهاتان الحادستان اللتان ذكرهما الناظم إرسال الرسل إلى الملوك وإهداء مارية كانتا في شهر الله المحرم، وعدَّهُمَا من حوادث السنة السابعة مبني على حساب السنة من ربيع الأول إلى ربيع الأول، وأما على أنها من المحرم فهما من حوادث السنة الثامنة لكن الذي جرى عليه الناظم هنا أنهما من حوادث السنة السابعة لأنه حسب السنة من ربيع الأول إلى ربيع الأول.

(وفي الثمان مؤتة) كان سبب سرية مؤتة أنهم قتلوا رسول رسول الله ﷺ، عرض له عمرو ابن شرحبيل الغساني من أهل مؤتة فقتله، فبعث النبي ﷺ إليهم جيشًا، وأمر عليهم زيد بن حارثة -

رضي الله عنه - فإن قُتِلَ فجعفر - رضي الله عنه - فإن قُتِلَ فعبداً بن رواحة - رضي الله عنه - فقتل الأمراء الثلاثة. قال أنس - رضي الله عنه - كما في صحيح البخاري: "خطب رسول الله ﷺ فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبدالله بن رواحة فأصيب - وإن عينيه لتذر فان - ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح الله عليه، وما يسرني أو قال وما يسرهم أنهم عندنا".

(وَالْمَنْبَرُ) في سنة ثمانٍ عُمِلَ منبر النبي ﷺ فخطب عليه.

في صحيح البخاري عن جابر - رضي الله عنه - أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه؟ فإن لي غلاماً نجاراً قال: "إِنْ شِئْتَ" قال: فَعَمِلْتُ له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صُنِعَ فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تن أنين الصبي الذي يُسَكَّت حتى استقرت قال: "بَكَتْ على ما كانت تسمع من الذكر".

قال ابن كثير في السيرة النبوية بعد أن ذكر خبر حنين الجذع: "وما أحسن ما قال الحسن البصري بعدما روى هذا الحديث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه أوكيس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاخوا إليه؟" (فَتَحَّ) في شهر رمضان من سنة ثمان كان فتح مكة.

سبق في الكلام عن صلح الحديبية أن الحرب وُضِعَتْ عشر سنوات يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، وأن خزاعة دخلت في حلف النبي ﷺ، وأن بني بكر دخلوا في حلف قريش. فحصل أن بني بكر وثبوا على خزاعة وقتلواهم بماء يقال له: الوثير، فقالت قريش: ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا أحد، فأعانوهم بالكراع والسلاح فركب عمرو بن سالم الخزاعي إلى النبي ﷺ ليخبره فلما مثَّل بين يديه قال:

يَارَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا
 قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا
 فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا
 فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
 فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا
 وَنَقْضُوا مِيثَاقَكَ الْمُوَكَّدَا
 وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
 هُمْ بَيِّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا
 حَلَفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا
 ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
 وَادَّعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
 إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
 إِنْ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا
 وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رَصَدَا
 وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
 وَقَتَلُونَا رُكْعًا وَسُجَّدَا

فقال النبي ﷺ: "نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ" وكان بعد ذلك فتح مكة.

(حُنَيْن) يقال لها: غزوة حنين وغزوة أوطاس، وهما موضعان بين مكة والطائف، وتسمى أيضًا غزوة هوازن، وهوازن هي القبيلة التي قاتلت رسول الله ﷺ، وكانوا قد اجتمعوا يريدون قتاله، وقد أعجب بعض المسلمين كثرتهم، فلما قاتلوا ولَّى كثير منهم الدُّبر، ثم كانت بعد ذلك الغلبة للنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

(طَائِفٌ) بعد حنين فرَّ من نجا من هوازن وثقيف إلى الطائف، واحتتموا في حصنها، فحاصرهم النبي ﷺ ثم إنه رجع عنهم وتركهم، ولما قيل له: ادع على ثقيف، رفع يديه وقال: "اللهم اهدِ ثقيفًا وائتِ بهم" فهداهم الله وأتوا رسول الله ﷺ مسلمين في العام الذي بعده.

(وَهَجَرُ) في هذه السنة أخذ النبي ﷺ الجزية من مجوس هجر، وذلك - كما في بعض كتب السيرة - بعد مُنْصَرَفِهِ من الجعرانة حيث بعث العلاء بن الحضرمي - رضي الله عنه - إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، فكتب إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، وأنه قد قرأ كتابه على أهل هجر، فمنهم من أسلم، ومنهم من كرهه، فكتب إليه الرسول ﷺ: "من أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية".

(تَبُوكُ فِي التَّسْعِ) كانت غزوة تبوك في العام التاسع، وتسمى غزوة العُسرة لما نال الناس من عسر وشدة فقد كان ذلك في شدة الحرّ.

لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى الْجِهَادِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِغَزْوِ الرُّومِ، وَكَانَ ﷺ لَا يَرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بَغِيرَهَا إِلَّا غَزَوْتَهُ هَذِهِ فَإِنَّهُ صَرَحَ لَهُمْ بِهَا؛ لِيَتَأَهَّبُوا لَشِدَّةِ عَدُوِّهِمْ وَكَثْرَتِهِ فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ يَخُوفُ الرُّومِ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَلْقَ قِتَالًا.

(وَمَوْتُ أَصْحَمَةَ) أَصْحَمَةُ هُوَ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبْشَةِ.

فِي الصَّحِيحِينَ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعِيَ النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمَصْلَى، فَصَفَّ بِهِمْ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا" وَقَدْ كَانَ النَّجَاشِيُّ سَبِيًّا فِي إِسْلَامِ صَحَابِي جَلِيلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَأَمَّا النَّجَاشِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَلَيْسَ مِنَ الصَّحَابَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَلِقَ النَّبِيَّ ﷺ.

(وَأَبْنِ أَبِي) فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ مَوْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ.

في صحيح البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: "لما توفي عبدالله بن أبي جاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك فقال ﷺ: إنما خيرني الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وسأزيده على السبعين، قال: إنه منافق، فصلى عليه النبي ﷺ ثم أنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾".

وعبدالله بن أبي ابن سلول في كتابة اسمه: تكتب (ابن) التي قبل (سلول) بإثبات همزة الوصل، وتُعرَّبُ (ابن) بإعراب (عبدالله) لأن (سلول) أمه. مثلاً في حال الرفع: عبدالله بن أبي ابن سلول. وفي حال النصب: عبدالله بن أبي ابن سلول. وفي حال الجر: عبدالله بن أبي ابن سلول. أبي أبوه، وسلول أمه، فتون العلم الذي قبل (ابن سلول)، وتثبت همزة (ابن)، وتعرَّب (ابن) بإعراب (عبدالله)، قال الناظم:

وَنَوْنُ الْعَلَمِ قَبْلَ ابْنِ سَلُولٍ وَابْنُ بُحَيْنَةَ وَدَعُ عَنْكَ الْفُضُولُ
وَاكْتَبَهُ بِالْأَلِفِ وَاعْرَبْنَهُمَا بَدَلًا أَوْ عَطَفَ بَيَانِ خُذُهُمَا

(إيلا) إيلاء النبي ﷺ ثابت في البخاري: "أنه ﷺ آلى من نسائه شهراً" أي: حلف على أن لا يدخل عليهن شهراً، وليس المقصود بالإيلاء هنا ما يذكره الفقهاء وهو حلف الزوج على عدم جماع زوجته أكثر من أربعة أشهر الوارد في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ بل المقصود بالإيلاء اللغوي، فالإيلاء في اللغة بمعنى الحلف ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ أي لا يحلف.

وقد اختلفت الروايات في سبب إيلائه ﷺ من نسائه على أقوال أشهرها قولان:

القول الأول: قصة تحريم العسل وهي ثابتة في الصحيحين.

والقول الثاني: قصة تحريم الجارية ففي سنن النسائي عن أنس - رضي الله عنه -: "أن رسول الله

ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حَرَمَهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾" ويؤيده أن تحريم الجارية مما يتبغى بمثله

مرضاة الزوجات.

وقيل: إنه كان بسبب طلبهن النفقة وطلبهن النفقة ثابت في صحيح مسلم.

ويرى الحافظ ابن حجر أن الأليق بكرم أخلاقه ﷺ وسعة صدره وكثرة صفحه أن يكون مجموع

هذه الأشياء سبباً لاعتزالهن.

(لِعَانٌ أَعْلَمَهُ) اللعان كان بين عويمر العجلاني وزوجه رضي الله عنهما.

وسبب اللعان: رمي الزوج زوجته بالزنا فإذا حصل ذلك فله ثلاث حالات:

الحال الأولى: أن يقيم البينة وهي أربعة شهود على صحة دعواه.

الحال الثانية: أن تقر المرأة بالزنى.

الحال الثالثة: إن لم تكن بينة ولا إقرار فيقام عليه حد القذف لأنه داخل في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ لكن جعل الله للرجال

فرجاً ومخرجاً، فيمكن أن يُسقط حد القذف باللعان وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ

أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ الآيات، في الحديث أنه قال: "يا رسول الله أرأيت

لو وجد أحدنا امرأته على فاحشة كيف يصنع؟ إن تكلم بأمر عظيم وإن سكت على مثل ذلك،

قال: فسكت النبي ﷺ فلم يجبه فلما كان بعد ذلك أتاه فقال: إن الذي سألتك عنه قد ابتليت به

فأنزل الله - عز وجل - هؤلاء الآيات في سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ فتلاهن عليه

ووعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، قال: لا والذي بعثك بالحق ما كذبتُ عليها، ثم دعاها فوعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة قالت: لا والذي بعثك بالحق إنه لكاذب، فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ثم فرق بينهما".

(لَعَانُ أَعْلَمَهُ) أَعْلَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْوَحْيِ.

ثم قال - رحمه الله -:

مَاتَ ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَاشِرِ عَنْ سَبْعَةِ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ شَهْرًا ارْفَعَنْ

في العام العاشر مات إبراهيم بن نبينا ﷺ من سُرِّيَّتِهِ مارية القبطية، وكانت ولدته في ذي الحجة سنة ثمان ومات سنة عشر عن سبعة عشر شهرًا قال: (أَوْ شَهْرًا ارْفَعَنْ) يعني أو عن ثمانية عشر شهرًا، وقد دخل النبي ﷺ على إبراهيم وهو يجود بنفسه، فجعلت عيناه تذرفان وقال: "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ"

قال - رحمه الله تعالى -:

وَفِيهِ: كَأَنْتَ حَجَّةُ الْوَدَاعِ ٤٧ تَسْعِينَ أَلْفَ رَاكِبٍ وَسَاعٍ

قَضَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ سِتِّينَا ٤٨ مَعَ الثَّلَاثِ طَيِّبًا مُبِينَا

فَلَمْ يَكُ الْمَانِعُ مِنْ كِتَابِهِ ٤٩ إِلَّا اخْتِلَافُ كَانَ فِي أَصْحَابِهِ

غَزَوَاتُهُ: السَّبْعَةُ وَالْعِشْرُونَ ٥٠ بُعُوْتُهُ جَمِيعُهَا سِتُّونَا

أَفْرَاسُهُ: سَبْعٌ، وَسَبْعَ عَشْرًا ٥١ زَادُوا، الْبِغَالُ: خَمْسٌ، زَادُوا أُخْرَى

زَوَّجَتْهُ اللَّائِي بِهِنَّ دَخَلَا: ٥٢ إِحْدَى أَوِ اثْنَا عَشَرَ، عَنْ تِسْعٍ خَلَا

(وَفِيهِ) أي في هذا العام العاشر (كَانَتْ حَجَّةُ الْوَدَاعِ) وهي أول حَجَّةٍ حَجَّهَا النَّبِيُّ ﷺ بعد هجرته، وآخر حجة حجها ﷺ، سميت حجة الوداع؛ لأنه ﷺ ودَّعَ فيها أصحابه وقال فيها: "خذوا عني مناسككم فإنني لا أدري لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا"

(تِسْعِينَ أَلْفَ رَاكِبٍ وَسَاعٍ) اختلف أهل السيرة والتاريخ في عدد المسلمين الذين حجوا مع النبي ﷺ عام حجة الوداع فقليل: كانوا تسعين ألفاً، وقيل: بل نيفوا على مئة ألف، ولا شك أنهم كانوا جمًّا غفيرًا كما قال جابر -رضي الله عنه- في حديثه الطويل في الحج: "إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج، فقدم المدينة بشرُّ كثير كلُّهم يلتمس أن يأتَمَّ برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله" إلى أن قال: "حتى إذا استوت به ناقته على البداء نظرتُ إلى مدِّ بصري بين يديه من راكبٍ وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك".

ثم قال -رحمه الله-:

قَضَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ سِتِّينَا مَعَ الثَّلَاثِ طَيِّبًا مُبِينَا

في صحيح مسلم عن أنس -رضي الله عنه- أنه قال: "قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابن ثلاث وستين".

وكان ذلك يوم الاثنين ففي الصحيحين عن أنس -رضي الله عنه- أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسول الله ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة قال: "فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا، قال: فبهتْنَا ونحن في الصلاة من فرحٍ بخروج رسول الله ﷺ ونكص أبو بكر

على عقبه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ خارج للصلاة، فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده أن أتموا صلاتكم، قال: ثم دخل رسول الله ﷺ فأرخى الستر قال: فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك" وقد قال أنس -رضي الله عنه-: "لما كان اليوم الذي دخل فيه النبي ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفطنا عن رسول الله ﷺ الأيدي -وإننا لفي دفنه- حتى أنكرنا قلوبنا".

ثم قال -رحمه الله-:

فَلَمْ يَكُ الْمَانِعُ مِنْ كِتَابِهِ إِلَّا اخْتِلَافُ كَانَ فِي أَصْحَابِهِ

في الصحيحين: "أن النبي ﷺ لما حضر -أي لما حضره الموت- قال: هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده، فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت، فقال رسول الله ﷺ: قوموا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب".

(غزواته) سکن الزاي للضرورة (السبعة والعشرون) هذا الذي ذكره ابن سعد، وتبع فيه الواقدي، وهو الذي ذكره ابن إسحاق، وجرى عليه العراقي في ألفية السيرة وإن كان البدوي الشنقيطي في نظم الغزوات بلغ عدة المغازي ثلاثين.

(بعوثه جميعها ستون) هذا الذي اعتمده العراقي في ألفية السيرة أن البعوث والسرايا ستون.

وقد نظمها العلامة غالي بن المختار فال الأنصاري الشنقيطي -رحمه الله- في منظومته: وسيلة الخليل إلى بعوث صاحب الإكليل صلى الله عليه وسلم.

والفرق بين الغزوة والسرية والبعث أن كل ما خرج فيه رسول الله ﷺ بنفسه فإنه يسمى غزوة وقع قتال أم لا، فبدر غزوة؛ لأن النبي ﷺ خرج فيها بنفسه ووقع فيها قتال، وكذلك أحد، وكذلك بدر الأولى التي خرج فيها النبي ﷺ بإثر كرز بن جابر ولم يدركه غزوة؛ لأن النبي ﷺ

خرج فيها بنفسه وإن لم يقع فيها قتال، وغزوة الأبواء أول غزوة غزاها النبي ﷺ خرج فيها لغير لقریش كان عليها أبو جهل ولم يلق كيداً، هذه أيضاً تسمى غزوة، فالغزوة ما خرج فيها النبي ﷺ بنفسه سواء حصل قتال أم لم يحصل.

وأما ما لم يخرج فيه رسول الله ﷺ فيسمى بعثاً أو سرية وبعضهم يفرق بينهما فيجعل البعث ما كان للدعوة إلى الدين بلا قتال، والسرية ما كانت لقتال، فمثلاً: مؤتة معدودة من السرايا لأنه حصل فيها قتال ولم يخرج فيها النبي ﷺ.

وقد قال الشيخ سيلوم الشنقيطي في احمرار نظم الغزوات للبدوي:

وَبَعْضُهُمْ فَرَّقَ بَعْدَ الْبَحْثِ	بَيْنَ السَّرِيَّةِ وَبَيْنَ الْبَعْثِ
فَالْبَعْثُ مَا بَعَثَ طَه الْوَالِي	يَدْعُو إِلَى الدِّينِ بِلا قِتَالِ
وَإِنْ يَكُنْ خُلَاصَةُ الْبَرِيَّةِ	أَمْرَ بِالْقِتَالِ فَالسَّرِيَّةِ
أَمَّا إِذَا بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ	خَرَجَ فَالْغَزَاةُ خُذْ تَعْرِيفَهُ

(أَفْرَاسُهُ سَبْعٌ وَسَبْعٌ عَشْرًا زَادُوا) أفراسه ﷺ سبع ليس فيها خلاف وهي: السَّكْبُ، واللَّزَازُ، والظَّرْبُ، والسَّبْحَةُ، والمُرْتَجِزُ، والوَرْدُ، واللَّحِيفُ، ولا يلزم أن تكون اجتمعت عند النبي ﷺ. (وَسَبْعٌ عَشْرًا زَادُوا) زاد بعضهم سبعة عشر هي محل خلاف فيكون المجموع أربعة وعشرين. وقد زاد العراقي على السبع التي هي محل اتفاق ليس فيها خلاف ستة عشر في ألفيته في السيرة فيكون المجموع على ما ذكره العراقي ثلاثة وعشرين.

(الْبِغَالُ: خَمْسُ زَادُوا أُخْرَى) أي زادوا سادسة، قال العراقي في ألفية السيرة:

بِغَالُهُ خَمْسَةٌ أَوْ فَسْتَةٌ

وَمِنْ بَغَالِهِ: دُلْدُلُ التي أهداها له المقوقس وكان ﷺ يركبها في السفر، ومنها: فَضَّةٌ، وَالْأَيْلِيَّةُ.

ثم قال - رحمه الله -:

زَوَّجَاتُهُ اللَّائِي بِهِنَّ دَخَلَا: إِحْدَى أَوْ اثْنَا عَشَرَ، عَنْ تِسْعِ خَلَا

إذا عددت ریحانة بنت زید -وكانت من سبي بني قريظة- كان العدد ثنتي عشرة، لكن الذي رجحه ابن القيم وابن كثير أنها كانت أمة يطؤها بملك اليمين ولم تكن زوجة له ﷺ ورضي الله عنها، وبه جزم كثير من العلماء أنها كانت ملك يمين له ﷺ ولم تكن زوجة، وعليه فزوجاته اللائِي بهن دخل إحدى عشرة زوجة.

وقد جمعهن الناظم مرتباً إياهن على ترتيب زواجه ﷺ بهن في قوله:

خليلي سبي عَقْلِي حُلَا زَيْنِ هَالَةٍ زها جفنها رمزاً صحيحاً مهذباً

هذه إحدى عشرة كلمة كل كلمة الحرف الذي تبدأ به إشارة إلى زوجة من زوجات النبي ﷺ.

خليلي: الخاء خديجة رضي الله عنها.

سبي: السين سودة رضي الله عنها.

عقلي: العين عائشة رضي الله عنها.

حلا: الحاء حفصة رضي الله عنها.

زين: الزاي زينب بنت خزيمة رضي الله عنها.

هالة: الهاء هند وهي أم سلمة رضي الله عنها.

زها: الزاي الثانية زينب بنت جحش رضي الله عنها.

جفنها: الجيم جويرة رضي الله عنها.

رمزاً: الراء رملة بنت أبي سفيان وهي أم حبيبة رضي الله عنها.

صحيحاً: الصاد صفية رضي الله عنها.

مهذباً: الميم ميمونة رضي الله عنها.

وقد سبق شيء من ذلك في أول مدارس هذه المنظومة.

وسبق أنه نظمهن الشيخ غالي بن المختار فال الأنصاري الشنقيطي - رحمه الله تعالى - في نظم أمهات المؤمنين بأبسط من هذا فقال:

أَوَّلُهُنَّ حُبَيْتُ تَزْوِيجَهُ خَيْرُ النِّسَاءِ أُمُّنا خَدِيجَهُ
فَسَوْدَةُ عَائِشَةُ فَحَفْصَةُ فَزَيْنَبُ فَهِنْدُ ثُمَّ بَرَّةُ
أَيُّ زَيْنَبٍ فَأُمُّنا جُوَيْرِيَهُ فَرَمْلَةُ صَفِيَّةُ النَّضِيرِيَهُ
فَأُمُّنا أُخْتُ بَنِي هِلَالٍ مَيْمُونَةُ صَاحِبَةُ الْكَمَالِ

رضي الله عنهن وأرضاهن.

(عن **تسع خلا**) توفي عَلَيْهِ السَّلَامُ عن تسع نسوة، اثنتان من هؤلاء الإحدى عشرة توفيتا قبله هما خديجة وزينب بنت خزيمة رضي الله عنهما.

قال - رحمه الله تعالى -:

كُتَّابُهُ: خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ ٥٣ خُدَّامُهُ: الْمِئَةُ وَالسَّبْعُونَ
أَعْمَامُهُ الَّذِينَ هُمْ لَمْ يُسَلِّمُوا: ٥٤ بُو طَالِبٍ، بُو لَهَبٍ، وَقُثْمُ
حَارِثُ، غَيْدَاقُ، ضِرَارُ، مُقْوَمُ ٥٥ زُبَيْرُ، عَبْدُ كَعْبَةَ، حَجَلُ هُمُ
عَمَّائُهُ: سِتٌّ، ثَلَاثٌ أَسْلَمَتْ ٥٦ صَفِيَّةُ، عَاتِكُ، أَرْوَى، وَأَبَّتُ
أُمَيْمَةُ، أُمُّ حَكِيمٍ، بَرَّةُ ٥٧ أَصْحَابُهُ الْمُبَشَّرُونَ: عَشْرَةٌ
سَعْدُ، سَعِيدُ، ابْنُ عَوْفٍ، خُلَفَا ٥٨ زُبَيْرُ، طَلْحَةُ، ابْنُ جَرَّاحٍ، الْوَفَا

(كُتَّابُهُ: خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ) الْكُتَّابُ جَمْعُ كَاتِبٍ أَيِ الَّذِينَ كَتَبُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِوَاءِ كَتَبُوا الْوَحْيَ أَوْ غَيْرِهِ.

منهم: **زيد بن ثابت** رضي الله عنه، وهو مشهور بكتابة الوحي، و**أبي بن كعب** رضي الله عنه، و**معاوية بن أبي سفيان** رضي الله عنهما، و**الخلفاء الأربعة**، وقد عدّهم العراقي في ألفية السيرة اثنين وأربعين.

(**خُدَّامُهُ الْمِئَةُ وَالسَّبْعُونَ**) أي جميع من خدمه ﷺ من الأحرار والموالي من الرجال والنساء. فممن خدمه ﷺ من الأحرار: **أنس بن مالك** رضي الله عنه، وكان ألزمهم خدمة له ﷺ، فقد خدمه عشر سنين متوالية.

ومنهم: **عبدالله بن مسعود** رضي الله عنه، وكان يحمل وسادته ومطهرته وسواكه.

ومنهم **بلال بن رباح** رضي الله عنه وكان يلي أمر نفقاته ﷺ.

ومن الموالي أي ممن مسهم الرق: **زيد بن حارثة** وكان أصابه سباء في الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة ووهبته للنبي ﷺ فأعتقه وتبناه، فكان يدعى زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾.

ومنهم: **أسامة بن زيد** رضي الله عنهما.

ومنهم: **ثوبان** رضي الله عنه اشتراه النبي ﷺ فأعتقه، ولم يزل معه حتى قبض ﷺ بالمدينة.

أَعْمَامُهُ الَّذِينَ هُمْ لَمْ يُسْلِمُوا: بُو طَالِبٍ، بُو لَهَبٍ، وَقُثْمٌ

حَارِثٌ، غَيْدَاقٌ، ضِرَارٌ، مُقُومٌ زُبَيْرٌ، عَبْدُ كَعْبَةَ، حَجَلٌ هُمْ

أعمام النبي ﷺ اختلف في عددهم والمشهور أنهم اثنا عشر.

والذين أدركوا الإسلام منهم أربعة، اثنان أكرمهما الله بالإسلام، واثنان ماتا على الكفر والعياذ بالله.

للذان أسلما من أعمامه ﷺ **حمزة** رضي الله عنه و**العباس** رضي الله عنه.

وأما اللذان أدركا الإسلام ولم يسلموا فذكرهما في قوله: **(بُو طَالِبٍ بُو لَهَبٍ)** بحذف الهمزة، **أبو طالب** واسمه عبد مناف، و**أبو لهب** واسمه عبد العزى، وقد ماتا على الكفر والعياذ بالله.

وغيرهما ممن ذكر الناظم ماتوا قبل بعثته ﷺ وهم على الترتيب الذي ذكره **قُثْمٌ والحارثُ والعَيْدَاقُ وضِرَارٌ ومُقَوِّمٌ** - بالتخفيف وضُبِطَ بالتشديد بضم الميم وفتح القاف وشَدَّ الواو مفتوحة ومكسورة مُقَوِّمٌ ومُقَوِّمٌ - **والزُبَيْرُ وعَبْدُ الكَعْبَةِ وحَبْلٌ** - بفتح الحاء -.

(عَمَّاتُهُ سِتٌّ) لا خلاف في أن عَمَّاتِ النبي ﷺ سِتٌّ **(ثَلَاثٌ أَسْلَمَتْ صَفِيَّةٌ)** صفية هي أم الزبير ابن العوام أسلمت وهاجرت **(عَاتِكُ أَرْوَى)** قيل بإسلامهما أيضًا، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: "والصحيح أنه ما أسلم من عَمَّاتِ النبي ﷺ سواها" أي سوى صفية، فإسلام صفية - رضي الله عنها - متفق عليه، وقيل بإسلام عاتكة وأروى **(وَأَبْتُ)** الإسلام **(أُمِّمَةُ أُمِّ حَكِيمٍ بَرَّةٌ)**. **(أَصْحَابُهُ الْمُبَشَّرُونَ: عَشْرَةٌ)** جمعهم في بيت واحد فقال:

سَعْدٌ، سَعِيدٌ، ابْنُ عَوْفٍ، خُلَفَا زُبَيْرٌ، طَلْحَةُ، ابْنُ جَرَّاحٍ، الْوَفَا

(سَعْدٌ) هو سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب.

(سَعِيدٌ) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

(ابْنُ عَوْفٍ) هو عبدالرحمن بن عوف.

(خُلَفَا) الخلفاء الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

(زُبَيْرٌ) هو الزبير بن العوام.

(طَلْحَةُ) هو طلحة بن عبيد الله.

(ابْنُ جَرَّاحٍ) هو أبو عبيدة عامر بن الجراح.

(الوفا) وقد بشر النبي ﷺ بالجنة غيرهم أيضًا، وإنما عُرِفَ هؤلاء العشرة بالعشرة المبشرين بالجنة لأنهم جمعهم حديث واحد وهو ما ثبت عند أحمد والترمذي عن عبدالرحمن بن عوف

-رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أبو بكرٍ في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعثمانُ في الجنة، وعليُّ في الجنة، وطلحةُ في الجنة، والزُّبيرُ في الجنة، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ في الجنة، وسعدُ في الجنة، وسعيدُ في الجنة، وأبو عبيدةُ بنُ الجراحِ في الجنة" وإلا فالمبشرون بالجنة من الصحابة عددٌ كبير.

منهم: **بلال بن رباح** -رضي الله عنه- فقد قال له النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «يا بلال حدّثني بأرجى عملٍ عملته في الإسلام فإني سمعتُ دفَّ نعليك بين يديّ في الجنة». وعكاشة بن محصن -رضي الله عنه- لَمَّا ذَكَرَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قال له عكاشة -رضي الله عنه-: «ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم».

وخديجة -رضي الله عنها- قال جبريل -عليه السلام- للنبي -صلى الله عليه وسلم- «اقرأ عليها السَّلامَ مِن رَبِّهَا -عَزَّ وَجَلَّ- وَمَنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِن قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ».

وثابت بن قيس بن شماس -رضي الله عنه- قال النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «هو من أهل الجنة» قال أنس -رضي الله عنه-: «وكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة».

والحسن والحسين -رضي الله عنهما- قال -صلى الله عليه وسلم-: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة».

وأل ياسرٍ عمارٌ وأبوه ياسرٌ وأُمُّهُ سَمِيَّةٌ -رضي الله عنهم- مرَّ بهم النَّبِيُّ -صلى الله عليه

وسلم - وهم يُعَذَّبُونَ فقال: «صَبْرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة» أخرجه الحاكم، وفي رواية له: «أبشروا آل عمار وآل ياسر، فإن موعدكم الجنة».

وحمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - قال - صلى الله عليه وسلم - : «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب».

وفاطمة بنت نبينا - صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها - قال لها النبي - صلى الله عليه وسلم - : «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين».

وعبدالله بن سلام - رضي الله عنه - قال سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - كما في صحيح البخاري: «ما سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول لأحدٍ يمشي على الأرض: إنه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام».

وقد أوصلهم الشيخ عبد العزيز السلمان - رحمه الله - في شرحه على الواسطية المسمى الكواشف الجلية عن معاني الواسطية إلى واحدٍ وأربعين، ولو تتبعهم متبع لزادوا على هذا العدد.

قال - رحمه الله تعالى - :

وَبَعْدَهُ الصَّدِيقُ عَامِنٌ اسْتَقَرَّ ٥٩ وَنِصْفٌ، بِالسَّيِّمِ قَضَى، ثُمَّ عُمَرُ
عَشْرًا وَنِصْفًا، وَقَضَى لَمَّا انْجَرَحَ ٦٠ وَمِضَرَ وَالْعِرَاقَ وَالشَّامَ افْتَتَحَ
وَبَعْدَهُ عُثْمَانُ إِحْدَى عَشْرًا ٦١ وَمِثْلَهَا يَوْمًا، شَهِيدًا مَرًّا
ثُمَّ عَلِيٌّ خَمْسًا السُّدُسَ انْقَضَ ٦٢ وَبَعْدَهُ سِتُّ شُهُورٍ الْحَسَنُ

صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّهُ وَسَلَّمَا ٦٣ وَإِلَيْهِ وَصَّحْبِهِ وَكَرَّمَا

(وَبَعْدَهُ) أي: بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق - رضي الله عنه وأرضاه - واسم أبي بكر عبدالله، وأبوه أبو قحافة اسمه عثمان فهو عبدالله بن عثمان.

وأبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أول من آمن بالنبي ﷺ من الرجال، وسُمِّيَ بالصديق لمبادرته إلى التصديق بكل ما جاء به النبي ﷺ، ولأنه صدَّق النبي ﷺ في خبر الإسراء، وكان من أشرف قريش ووجهائها في الجاهلية، وكان قد حرَّم الخمر على نفسه في الجاهلية، وكان أحبَّ الرجال إلى رسول الله ﷺ كما في حديث الصحيحين عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أنه سأل النبي ﷺ: "أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة قال: قلت: من الرجال؟ قال: أبوها".

وكانت له المواقف المشهودة في الإسلام وقد قال النبي ﷺ: "ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه عليها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعتني مال أحد قط ما نفعتني مال أبي بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً".

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن أبا بكر - رضي الله عنه - هو الذي إليه الأمر بعده في أحاديث منها: أن امرأة سألته ﷺ عن شيء فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجذك؟ تعني الموت فقال لها رسول الله ﷺ: "إن لم تجدني فائتي أبا بكر".

بويع - رضي الله عنه - بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ، فأقام دعائم الإسلام، وحارب المرتدين والممتنعين عن أداء الزكاة، فأظهر الله به الدين، وافتتحت في أيامه بعض بلاد الشام والعراق وقد ذكر الناظم أن خلافته كانت عامين ونصف في قوله: (وَبَعْدَهُ الصَّدِيقُ عَامَيْنِ اسْتَقَرَّ وَنُصِفَ) أي ونصف عام هذا على قول، وقيل: إنها كانت سنتين وثلاثة أشهر تزيد يسيرًا وهو المشهور. (بِالسَّمِّ قَضَى) يقال السَّمُّ بفتح السين وضمها، وتكسر أيضًا إلا أن الكسرة لغة ضعيفة.

يقول: إن أبا بكر - رضي الله عنه - قضى نحبه بالسَّمِّ، وقد اختلف أصحاب السير في سبب وفاة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فقيل: إنه مات بالسم وذكروا أنه والحارث بن كلدة أكلَا طعامًا أهدي لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، وكان الحارث طبيبًا فقال لأبي بكر: ارفع يدك، والله إن فيها لسم سنة. فلم يزالا عليّين حتى ماتا عند انقضاء السنة في يوم واحد، وقيل: بل اغتسل في يوم بارد فَحَمَّ فمات وقيل غير ذلك كما في الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر رحمه الله.

(ثُمَّ عُمَرُ عَشْرًا وَنِصْفًا) عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أبو حفص الفاروق، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرفهم وكانت له السفارة فيهم، وكان أحبَّ الرجال إلى رسول الله ﷺ بعد أبي بكر، وَلِيَ الخلافة بعد أبي بكر - رضي الله عنه - بِعَهْدٍ من أبي بكر، وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر.

(وَقَضَى لَمَّا أَنْجَرَحَ) يشير إلى خبر مقتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فإنه اغتاله أبو لؤلؤة المجوسي - واسمه فيروز وهو فارسيّ كان غلامًا للمغيرة بن شعبة - وعمر يؤم الناس في صلاة الصبح فطعنه أبو لؤلؤة المجوسي فمات عمر - رضي الله عنه - شهيدًا، وكان قد مات عن ثلاث وستين سنة وهي السن التي توفي فيها النبي ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، ودُفِنَ في حجرة عائشة رضي الله عنها مع النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

وفي أيامه فُتِحَت مصر والعراق والشام كما قال الناظم: (وَمِصْرَ وَالْعِرَاقَ وَالشَّامَ افْتَتَحَ).

(وَبَعْدَهُ عُثْمَانُ) ثم بعد عُمَرَ وَلِيَ عثمانُ بْنُ عفَّانَ ذو النورين رضي الله عنه، وكان من أشرف قريش وأغنيائهم في الجاهلية.

ومن أعماله العظيمة: تجهيزُهُ جيشَ العسرة حتى قال النبي ﷺ: "ما ضَرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم"، وشرأؤه بئر رومة.

وكان عهد عثمان - رضي الله عنه - عهد فتوحات ففي عهده فتحت أرمينية وأذربيجان وإفريقية وبدأ غزو الروم برًّا وبحرًا.

(وَبَعْدَهُ عُمَانُ إِحْدَى عَشْرًا) أي من السنين (وَمِثْلَهَا يَوْمًا) أي من الأيام، وقال ابن إسحاق: "قُتِلَ عثمان - رضي الله عنه - على رأس إحدى عشرة سنةً وأحدَ عشرَ شهرًا واثنين وعشرين يومًا من مقتل عمر رضي الله عنه" أي أن مدة خلافته تقارب اثني عشرة سنة، فكانت خلافته من عام ثلاث وعشرين الذي توفي فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عام خمس وثلاثين. (شَهِيدًا مَرًّا) شهيدًا في الدار، وكان عمره اثنتين وثمانين سنة.

(ثُمَّ عَلِيٌّ) عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أول من أسلم من الفتيان، وهو ابن عم النبي ﷺ، وأحدُ الشجعان الأبطال، بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - واستمرت خلافته قرابة خمس سنوات كما قال الناظم (خَمْسًا السُّدُسَ انْقُصَنَ) سُدُسُ السَّنَةِ شهران، فتكون مدة خلافته - على ما ذكر الناظم - أربعة أعوام وعشرة أشهر. وقد أقام بالكوفة وجعلها دار الخلافة حتى قتله أشقى هذه الأمة عبدالرحمن بن ملجم المرادي الخارجي وكانت سِنُّ عَلِيٍّ عند وفاته ثلاثًا وستين كسِنِّ النبي ﷺ وأبي بكر وعمر عند وفاتهم.

(وَبَعْدَهُ) أي بعد عليٍّ رضي الله عنه ولي (سِتَّ شُهُورٍ) ابنُهُ (الْحَسَنُ) بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله ﷺ وريحانته خامس الخلفاء الراشدين، وقد تحقق ما قاله النبي ﷺ: "إِنْ ابْنِي هَذَا سِيدٌ وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" تنازل الحسن بالخلافة إلى معاوية رضي الله عنهما وقد قال النبي ﷺ: "خِلَافَةُ النَّبِيِّ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً" وقد كانت وفاة النبي ﷺ في ربيع الأول سنة إحدى عشرة وكان تنازل الحسن لمعاوية - رضي الله عنهما - في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين فهذه ثلاثون سنة.

ثم قال - رحمه الله -:

صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّهُ وَسَلَّمَا ٦٣ وَإِلِهِ وَصَحْبِهِ وَكَرَّمَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

